

(٨)



إدارة الدعوة والإعلام

المركز العام

التربية بين الأصالة والتجديد

بقلم فضيلة الشيخ

محمد صفوت نور الدين

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

إدارة الدعوة والإعلام بالمركز العام

جماعة أنصار السنة المحمدية
إدارة الدعوة والإعلام
المركز العام

التربية

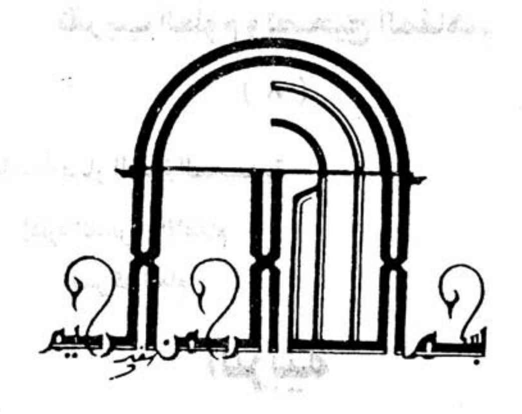
بين

الأصالة والتجديد

بقلم

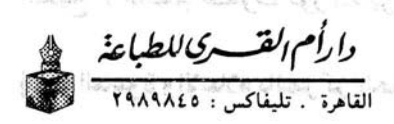
الشيخ / محمد صفوت نور الدين

إدارة الدعوة والإعلام بالمركز العام



الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م



بسم الله الرحمن الرحيم

يذكر مؤرخو التربية الحديثة أن البشرية قد عاشت آلاف السنين وهي لا تعرف التربية المنظمة التي نمارسها في مدارسنا أو معاهدنا اليوم. ولكن مما لا شك فيه أن التربية الأولية كانت تمارس في واقع الحياة حيث يصطحب الرجل أبناءه في أعمال الصيد والزراعة وغيرها فتنتقل المهارات التربوية المطلوبة بطريق المحاكاة أو التقليد، ولم تكن تلك المهارات والمعلومات من التعقيد بمكان نظراً لبساطة الحياة وبدائية الثقافة.

وبتطور المجتمع: أفكاره واتجاهاته وطرق معايش الناس وقيمهم وأخلاقهم تطورت التربية كذلك؛ فنشأت حاجة المجتمع إلى من يهتمون بتربية الأبناء نيابة عن المجتمع وعن الآباء والأسرة فظهر المعلم، ثم تطور الأمر إلى بناء مؤسسات خاصة فظهرت المدرسة.

ويذكر المؤرخون أن المدارس انتشرت في الصين من خمسة آلاف سنة وكذلك مصر الفرعونية والهند وفي بعض مدن أوربا مثل إسبرطة وأثينا.

هذا وإنه لمن نافلة القول أن نذكر أن التربية قد ارتبطت بظهور الإنسان على الأرض وإحساسه بنفسه وتعامله مع الأسرة ثم الجماعة.

دروس تربوية أقدم يحكيها القرآن الكريم:

لكن القرآن الكريم يشد انتباهنا بقوة نحو درس تربوي أسبق من هذا هو أولى بالاهتمام من غيره، ذلك في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً .....﴾ [البقرة: ٣٠] إلى قوله تعالى ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨، ٣٩].

فقبل أن يهبط الانسان إلى الأرض أراد الله سبحانه أن يعلمه درسًا يعرف فيه:

*عداوة الشيطان وكيده له، وبعض حيل الشيطان ووسوسته.

* أثر الطاعة ومضرة المعصية في كشف ستر الله تعالى وسلب معونته.

* قيمة العلم ورفعه لشأن الطين حتى تؤمر الملائكة بالسجود له.

* قبول الله لتوبة التائبين، بل وعنايته بأن يلهم الإنسان كيف يتوب.

* صادق وعد الله وزيف وعود الشيطان.

* الكبر صفة ذميمة أوصلت الشيطان إلى الصغار.

وغير ذلك من الدروس التربوية التي ينقلها القرآن الكريم في قصة آدم هذه وقد ذكرها القرآن في سبعة مواضع.

كما يحدثنا القرآن الكريم عن درس تربوي آخر على الأرض في قوله تعالى﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ..** ﴾ [المائدة: ٢٧].

إلى قوله تعالى ﴿ **فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [المائدة: ٣٠].

وهو درس تربوي يعلم الله فيه الإنسان من الغراب، بل ويكتب من أجله على بني إسرائيل ﴿ **أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ**

نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا .... ﴾ [المائدة: ٣٢].

كما يقص الله سبحانه في القرآن الكريم من دروس التربية موعظة لقمان الحكيم لابنه في قوله ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ..... ﴾ [لقمان: ١٣]. إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٩].

بل إن من الدروس التربوية الرائعة التي تبقى أمام أعين البشرية جمعاء نبراسًا هاديًا ما كان من شأن إبراهيم عليه السلام مع زوجته هاجر وابنه إسماعيل عليه السلام ما جاء في سورة الصافات قوله تعالى ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الصافات: ١٠١ – ١٠٧]

ولقد ساق البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى

عنهما قال: (أول ما اتخذ النساء المنطق[١] من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقًا لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق الزمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هناك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم[٢] منطلقًا فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا. وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: آللهُ الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: اذن لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه فقال ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴾ [إبراهيم: ٣٧] وجعلت أم إسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا

---

(١) المنطق = ما يشد به الوسط.

(٢) قفى إبراهيم = رجع نحو الشام.

نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها وسعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً. ففعلت ذلك مرات.

قال ابن عباس قال النبي ﷺ : «**فذلك سعي الناس بينهما**».

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت: صه.. تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضًا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه فلما ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف ..... الخ الحديث الطويل.

المنهج الأصيل :

الله جلت قدرته الذي تعهد الإنسان قبل نزوله إلى الأرض لم يتركه بعد نزوله إليها فلقد أرسل الرسل وأنزل الكتب هداية للبشر فجعل الرسل مبشرين ومنذرين وأرسلهم هداية للناس أجمعين وقال عن خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

فالرسل الكرام قدوة صالحة للبشر.

والكتب المنزلة منهج متكامل لهم.

والله سبحانه عون لمن أطاعه.

وبهذه الثلاث تتحقق التربية المتكاملة، منهج في الكتب المنزلة وقدوة في الأنبياء والمرسلين، وعون من الله رب العالمين.

والآن ما هو الهدف من عمليات التربية التي نمارسها في حياتنا ؟

إذا كان الهدف من حياة الإنسان واضحًا في قوله تعالى

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، فالهدف إذاً من عمل الإنسان وسعيه أن يرضى عنه الله تعالى - قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] ويقول سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ [الانشقاق: ٦ - ١٤].

فيكون الهدف من التربية إذن إعداد الجيل الذي يرضى عنه الله تعالى.

وفي إطار هذا الإرضاء يكون سعي الإنسان في حياته موقنًا أن الله يراه، سواء كان أمام الناس أو كان خاليًا وحده ومن ثم فهو لا يظلم أحداً وإن حدث ووقع منه ظلم لأحد أو أذنب فهو يعلم أن له ربًا غفاراً للذنوب فهو يسرع

بالإقلاع عن الذنب والتوبة منه. هذا وإذا كان في عمل أتقنه لأنه يعلم أن الله يكتب له في صحيفته ذلك كله وسوف يحاسبه.

هذا ومن الضروري لأسلوب التربية الذي يتبع أن يضع في حسابه طبيعة المجتمع ومشكلاته وإمكاناته حتى يكون وضوح الهدف والإمكانات معيناً على التخطيط السليم. فما هي المشكلات التي تواجهنا في مجتمعنا والتي تطلب منا وضع الحل المناسب بأسلوب التربية؟

* مشكلات اقتصادية تتضح في قلة الإنتاج والتظالم في التوزيع واضطراب في العمالة كماً وكيفاً.

* عجز هنا وركود هناك، وتضخم في الأسعار.

* مشكلات اجتماعية منها الأنانية وحب الذات، ومنها التبذل في عرض المرأة في الأسواق طلبا لرواج السلع فتكون صورة في الإعلانات وحقيقة في واجهة المحلات.

* مشكلات اعتقادية منها كثير من الناس يطوفون حول القبور ويتمسحون بها ويطلبون منها دفع الضر وجلب

النفع. ومنها نسبة علم الغيب لغير الله تعالى. فإذا كان البدائي يتفاءل ويتشاءم بالطيور (العصفور والغراب) فاليوم تراه يقرأ في الجرائد حظك هذا اليوم أو الأسبوع للتعرف على المستور من الغيب فضلاً عن كثير من المفاسد الاعتقادية.

* مشكلات علمية تتمثل في انخفاض المستوى العلمي لحد انتشار الأمية، سوء مستوى الخريجين ونقص خبراتهم بل وضعف استعدادهم لكسب هذه الخبرات، جهل بأمور الدين حتى أن كل دعوة ضالة تجد لها أنصاراً سواء كانت تفريطًا بانتشار المعاصي أو إفراطًا بانتشار البدع والضلالات أو بث بدع الخوارج والاعتزال والتشيع والقدرية فتجد لها أشياعًا وأنصاراً. حتى تلك العلمانية الملحدة النتنة تجد لها مؤسسات قائمة وجهوداً مبذولة وجنداً ينافحون عنها.

والسؤال الآن: هل كانت هذه المشكلات موجودة في المجتمع الذي بعث فيه النبي ﷺ ؟ وهل استطاع المنهج التربوي الذي مارسه النبي ﷺ أن يحلها حتى يحكم على

صلاحيته لمثلها أم لا؟

إن المجتمع الذي بعث فيه النبي ﷺ كانت له مميزات على رأسها الفصاحة والبلاغة وقوة الحافظة وذلك ما لم يتحقق لمجتمع قبله ولا بعده . وكان ذلك آية لأن تكون الرسالة الجديدة :

أولاً : تتحدى الفصحاء والبلغاء

ثانياً : تخاطب العقول .

ثالثاً : تبقى بقوة الحافظة محمولة في صدور الرجال قبل سطور الكتب فتنتقل إلى الجيل التالي نقلاً أميناً متكاملاً .

أما مشكلات هذا المجتمع فكانت تتمثل في اتجاهات شتى :

على رأسها الشرك بالله تعالى وعبادة الأوثان والضراعة عندها والطواف حولها والنذر والذبح عندها وتعفير الجباه بالسجود لها ثم يدّعون ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣] .

ومنها مشكلات في العلاقات الجنسية أكتفي منها

بذكر حديث عائشة رضي الله عنها عند البخاري (إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء، فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها.

ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان، تسمي من

أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل.

ونكاح رابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به، ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك؛ فلما بُعث محمد ﷺ هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم).

ومشكلات اجتماعية مثل عادة الثأر وكثرة شرب الخمور حتى أن شاعرهم يخشى على نفسه بعد الموت ألا تشرب عظامه الخمر فيقول:

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة ... لتروى عظامي بعد موتي عروقه

ولا تدفنني بالفلاة فإنني ... أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

ومشكلات اقتصادية متمثلة في التفاوت الشديد بين الطبقات والتعامل بالربا الفاحش والتظالم في البيوع والغصب والسلب وقطع الطريق على رحلات التجارة.

ومشكلات ثقافية فكانوا أمة أمية لا تعرف الكتابة ولا الحساب حتى أن قائلهم يقول: وهل بعد الألف عدد؟

* * *

بين مجتمعين :

كلنا يسمع بالصيحات تتعالى منذرة بالمشكلات الاقتصادية داعية للإصلاح وإلى مؤسسات الأمن الغذائي ومظلة التأمينات إلى غير ذلك – والمجتمع الذي عاش فيه رسول الله ﷺ خاصة في سنوات ما بعد الهجرة يصل في فقره إلى درجة عجيبة من شواهدها : –

(١) ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت (إنا كنا لننظر الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما يوقد في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار – قال عروة: قلت: يا خالة، فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان : التمر والماء . . .)

(٢) روى البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله، قال: إني لأول العرب رميًا بسهم في سبيل الله، ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ وما لنا طعام إلا ورق الحبلة وهذا السمر[١] حتى أن أحدنا ليضع كما تضع الشاة

(١) الحبلة بضم الحاء وسكون الباء والسمر بفتح السين المشددة وضم الميم نوعان من الشجر كانا معروفين بالبادية .

ما له خلط (ما له خلط بكسر الخاء أي لا يختلط بعضه ببعض من شدة جفافه وتفتته).

(٣) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وإن كنت لأشد الحجر على بطني من شدة الجوع...).

(٤) روى البخاري عنه أيضًا أن سائلاً سأل رسول الله ﷺ عن الصلاة في ثوب واحد فقال رسول الله ﷺ: «**أو لكلكم ثوبان**»؟.

تأمل هذه الحياة العجيبة في فقرها من تلك العبارات اليسيرة فماذا أحدثت دعوة النبي ﷺ في هذا المجتمع؟.

لقد بعث رسول الله ﷺ في عالم أصيب بزلزال شديد هزه هزاً عنيفًا حتى أصبح كل شيء في غير محله – رأى الإنسان وقد هانت عليه إنسانيته فأخذ يسجد للحجر والشجر والشمس والقمر وما لا ينفع ولا يضر – رأى أنفسًا فسدت حتى أنها تري المر عذبًا والخبيث طيبًا – رأى مجتمعًا أصبح الذئب فيه راعيًا والخصم الجائر قاضيًا –

المجرم فيه سعيداً حظياً والصالح محروماً شقياً – المعروف فيه منكراً والمنكر معروفاً شرب الخمر ضياع للعقول والأبدان – الخلاعة والفجور إلى حد ضياع الأنساب – فساد في كل مناحي الحياة لا يكفيه أجيال من المصلحين – لكن رسول الله ﷺ لم يكن مصلحاً كعامة المصلحين يعالج معايب اجتماعية أو خلقية أو اقتصادية أو سياسية؛. بل قد أتى البيت من بابه ووضع على القفل مفتاحه فانحلت تلك العقد التي أعيت جميع المصلحين – دعا الناس فقال: «**قولوا: لا إله إلا الله ؛ تفلحوا**» فلما انحلت عقدة الشرك تلتها جميع العقد تنحل سهلة ميسورة.

شهادات الأجانب لما قام به الرسول ﷺ [١]

قال موير (لم يكن الإصلاح أعسر ولا أبعد منالاً منه وقت ظهور محمد ولا نعلم نجاحاً تم كالذي تركه عند وفاته.

وتقول دائرة المعارف البريطانية: (لقد صادف محمد

(١) عن كتاب الرسول للأستاذ سعيد حوى.

النجاح الذي لم ينل مثله نبي ولا مصلح ديني في زمن من الأزمنة.

ويقول يوزوت أسمث (إن محمداً أعظم المصلحين على الاطلاق دون منازع)

ويقول هيل: (إن جميع الدعوات الدينية قد تركت أثراً في تاريخ البشر وكل رجال الدعوة والأنبياء قد أثروا تأثيراً عميقا في حضارة عصرهم وأقوامهم ولكنا لا نعرف في التاريخ أن دينًا انتشر بهذه السرعة وغير العالم بأثره المباشر كما فعل الإسلام ولا نعرف في التاريخ دعوة كان صاحبها سيداً مالكًا لزمانه ولقومه كما كان محمد ﷺ. لقد أخرج أمة إلى الوجود ومكن لعبادة الله في الأرض وفتحها لرسالة الطهر والفضيلة ووضع أسس العدالة والمساواة الاجتماعية بين المؤمنين وأصل النظام والتناسق والطاعة والعزة في أقوام لا تعرف غير الفوضى).

من صور التحول العجيب:

عمر بن الخطاب كان في جاهليته رجلاً قبلي الفكر

والطبيعة والعاطفة محدود الإدراك همه السكر واللهو حتى يقال عنه (والله لا يؤمن حتى يؤمن حمار خطاب) .

يصبح بعد الإسلام عمر العبقري الفذ قائد الدولة رمز العدل؛ لا يكون إلا ومعه الحزم والرحمة وسعة الأفق وصدق العزيمة وحسن الفراسة حتى يملأ أسماع الدنيا وأبصارها بالآثار الحسنة والطيبة .

* عبد الله بن مسعود راعي الإبل المحتقر المهان في قريش لا يجيد إلا خدمة سيده، نحيل الجسم قصير القامة، دقيق الساقين - يصبح بعد الإسلام رجل الفقه والرأي يقول عنه عمر لأهل الكوفة: لقد آثرتكم بعبد الله على نفسي .

* خالد بن الوليد رجل العصابات في الجاهلية - فارس يستعين به رؤساء قريش في المعارك القبلية فينال ثقتهم وثناءهم - يصبح بعد الإسلام سيف الله المسلول الذي إذا خرج من غمده لم يعد إلا والنصر معه - ينزل على الروم كالصاعقة يترك ذكراً خالداً في التاريخ .

* سلمان الفارسي كان أبوه رئيساً للدين المجوسي وكان هو الذي يوقد النار التي يعبدونها ثم ينتقل من رق

إلى رق ومن قسوة إلى قسوة ثم بعد الإسلام يطلع على العالم كحاكم لعاصمة الأمبراطورية الفارسية التي كان بالأمس أحد رعاياها المغمورين، وهذا لا يغير من زهادته وتقشفه بل يراه الناس يسكن كوخًا ويحمل الأثقال على رأسه.

من الجاهلية إلى الإسلام :

كان المجتمع الذي بعث فيه النبي ﷺ في فوضى من الأفعال والأخلاق والسلوك والأخذ والترك والسياسة والاجتماع، لا يخضعون لسلطان ولا يقرون بنظام ولا ينخرطون في سلك، يسيرون على الأهواء ويركبون العمياء ويخبطون خبط عشواء.

فأصبحوا الآن في حظيرة الإيمان والعبودية لا يخرجون منها واعترفوا لله بالملك والسلطان والأمر والنهي، ولأنفسهم بالعبودية والطاعة المطلقة، وأعطوا من أنفسهم القياد واستسلموا للحكم الإلهي استسلامًا كاملاً، تنازلوا عن أهوائهم وأنانيتهم وأصبحوا عبيداً لله لا يفعلون إلا ما يرضي مالكهم وسيدهم.

لقد كان هذا التغيير الذي أحدثه النبي ﷺ في نفوس المسلمين أغرب ما في التاريخ – كان غريباً في سرعته وعمقه وسعته وشموله ووضوحه وسهولة فهمه.

إذن فما هو طريق الاصلاح والتربية الذي اتبعه النبي ﷺ حتى حدث ذلك التحول العجيب؟

❊ ❊ ❊

الرسول ﷺ معلماً:

كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم هي المدرسة الأولى التي كان يلتف المسلمون الأوائل فيها حول النبي ﷺ يقرأ عليهم القرآن ويعظهم ثم أصبح بعد ذلك بيت النبي ﷺ مكاناً للدعوة، فلما هاجر كان المسجد هو مكان العلم والفتوى والقضاء والعبادة وكان من خصائص تعليمه لصحبه الكرام:

أولاً: تقسيم المواعظ وتفريقها مع الأوقات، وذلك لأن كثرة العلم ينسي بعضه بعضاً ولأن دوام التذكرة في حياة المسلم أمر ضروري لتصحيح سلوكه وصرف الشيطان عنه، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة منا (رواه البخاري).

هذا ولا يمنع ذلك أن تكون بعض المواعظ من النبي ﷺ حدثت في أوقات نادرة وكانت طويلة كما روى مسلم عن عمرو بن أخطب قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى ثم

صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن ،فأعلمنا أحفظنا » .

ثانيًا : كان النبي ﷺ يخاطب الناس بقدر إدراكهم وفهمهم وحسب خبراتهم، ففيهم البدوى والحضرى والصغير والكبير والذكر والأنثى، فلقد روى أبو هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي ولدت غلامًا أسود وإني أنكرته فقال له النبي : «**هل لك من إبل**»؟ قال: نعم، قال: «**فما ألوانها**» ؟ قال: حمر، قال: «**هل فيها أورق**»[١] ؟ قال: إن فيها لورقًا، قال: «**فأنى أتاها ذلك**»؟ قال: عسى أن يكون نزعه عرق[٢] ، قال: «**وهذا عسى أن يكون نزعه عرق**» (متفق عليه).

ثالثًا: وضوح البيان: حيث كان ﷺ إذا تكلم تكلم ثلاثًا لكي يفهم عنه وإذا تكلم تكلم كلامًا مفصلاً يبينه فيحفظه من سمعه منه، قال أنس رضي الله عنه يصف رسول الله ﷺ (كان إذا تكلم أعادها ثلاثًا حتى يفهم عنه) رواه البخاري .

---

(١) الأورق: الذي به سواد.

(٢) نزعه عرق: الأصل والنسب من الأجداد البعيدة يظهر في الأبناء.

رابعًا: الرفق بالأصحاب حتى يتعلم جاهلهم: روى مسلم في صحيحه عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل في القوم فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه[١] ما شأنكم تنظرون إليّ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه فوالله ما كهرني[٢] ولا ضربني ولا شتمني، قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**». قلت: يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهان، قال: «**فلا تأتهم**»، قال: ومنا رجال يتطيرون، قال: «**ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم**»، قال: ومنا رجال يخطون، قال: نبي «**كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك**»، قال:

---

(١) واثكل أمياه بضم الثناء وسكون الكاف وفتح اللام وضم الهمزة وفتح الياء كلمة مثل ثكلتني أمي دعاء يراد به التعجب الشديد عند الغضب.

(٢) كهرني: انتهرني.

وكانت لي جارية ترعى غنمًا لي قبل أحد والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب شاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكنني صككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظّم ذلك عليّ، قلت: يا رسول الله: أفلا أعتقها!، قال: «**ائتني بها**»، فأتيته بها، فقال لها: «**أين الله**»؟ قالت: في السماء، قال: «**من أنا**» قالت: أنت رسول الله، قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**».

فانظر رفقه في تعليم الرجل حديث العهد بالإسلام وانظر كيف يعطيه الجواب عن مسائله بقدر ما يحتاج لم يفصل فيه لأن الرجل لا يزال قريب عهد بالجاهلية.

وفي ذلك أيضًا حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه الترمذي وغيره واللفظ له: (دخل أعرابي المسجد والنبي ﷺ جالس، فصلى، فلما فرغ قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: **لقد تحجرت**[١] **واسعًا**»، فلم يلبث أن بال في المسجد،

(١) تحجرت = ضيقت.

فقال النبي ﷺ : «**دعوه، حتى إذا فرغ قال: أهريقوا عليه سجلاً من ماء، ثم قال: إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**» وفي رواية ابن حبان، فقال الأعرابي - بعد أن فقه في الإسلام: فقام إليّ (بتشديد الياء) رسول الله ﷺ فلم يؤنبني ولم يسبني وقال: «**إنما بني هذا المسجد لذكر الله والصلاة**».

بعض الأساليب التربوية التي عالج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم المجتمع الجاهلي

أولاً : القدوة الحسنة:

إن رسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة والأسوة الطيبة والمثل الذي يحتذى من المسلمين جميعًا وهذا ما يدعو القرآن الكريم إليه بقوله تعالى ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقد استدل علماء الأصول بهذه الآية الكريمة على صحة الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ .

بل إن النبي ﷺ كان يدعو كثيراً للاقتداء به فمن ذلك صلاة النبي ﷺ على المنبر ليراه الناس فيتعلموا، فعن سهل

ابن سعد رضي الله عنه قال ... ولقد رأيت رسول الله ﷺ قام عليه -أي على المنبر- فكبر وكبر الناس وراءه وهو على المنبر ثم رفع فنزل القهقرى حتى سجد في أصل المنبر ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبل على الناس فقال: «**يأيها الناس أني إنما صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي**» رواه مسلم.

وفي سياق حجة الوداع أن النبي ﷺ رمى الجمرات من بطن الوادي وهو على الراحلة يقول «**لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه ..**» رواه مسلم. ولقد وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت: (كان خلقه القرآن). هذا وإن النبي ﷺ يصحح للناس أعمالهم بسلوكه ويدلهم على ذلك: عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها - وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج

أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**» (متفق عليه).

ومن ذلك ما رواه ابن حبان في شأن عثمان بن حنيف رضي الله عنه عندما شغله قيام الليل عن حق زوجته قال (... فلقيه النبي ﷺ فقال: «**يا عثمان، أما لك فيَّ** (بتشديد الياء) **أسوة؟ قال: وما ذاك يا رسول الله فداك أبي وأمي؟ قال: أما أنت فتقوم الليل وتصوم النهار وإن لأهلك عليك حقًا وإن لجسدك عليك حقًا..**».

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وكان أجود الناس وكان أشجع الناس. ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عري[1] في عنقه السيف، وهو يقول: «**لم تراعوا لم تراعوا**»[2] (متفق عليه).

---

(١) عري = أي أن الفرس لا سرج عليه.

(٢) لم تراعوا = أي أنتم في أمان.

وعن علي رضي الله عنه قال: إنا كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان أشد الناس بأسًا (رواه أحمد).

هذا وإن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا يتعلمون الدين والسلوك من النبي ﷺ، فيروي البخاري في كتاب الصلاة يروى عن عثمان بن عفان وضوءه ثم يشهد أنه وضوء النبي ﷺ، ويروي عن جابر بن عبد الله أنه يصلي في ثوب واحد ورداؤه موضوع ويحتج على صحة ذلك بقوله: رأيت النبي ﷺ يصلي هكذا. ويروي عن مالك بن حريث أنه يقوم فيصلي ثم يقول: إني لأصلي بكم وما أريد الصلاة، أصلي كما رأيت النبي ﷺ يصلي.

وأمثلة ذلك ما لا يقع تحت حصر بل قد تتعدى القدوة أكثر من ذلك روى مسلم أن ابن عمر كان يأتي مسجد قباء كل سبت ويقول: رأيت النبي ﷺ يأتيه كل سبت.

فلا شك أن النبي ﷺ المثل الذي يحتذى والقدوة

الذي يقتدى به في كل أمر: زوجًا في بيته، أبًا مع أبنائه، قائداً لجنده، معلمًا لأتباعه، عابداً لربه، قدوة في الكرم والجود، قدوة في الشجاعة والإقدام، قدوة في الحلم والصفح، قدوة في العلم والعبادة، قدوة حتى في ملبسه ونومه وسيره وسائر عمله، وإن التعليم بالقدوة لهو أنجح الوسائل فيقول الشاعر في ذلك:

يا أيها الرجل المعلم غيره — هلاّ لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى — كيما يصح به وأنت سقيم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله — عار عليك إذا فعلت عظيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها — فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى — بالعلم منك وينفع التعليم

ونحن اليوم إذا راجعنا صفحة حياتنا وسألنا عن مشاكلنا لوجدنا: الطبيب يحذر من التدخين ومن أضراره والسيجار في فمه، والاقتصادي يدعو إلى التقشف وخاتم الذهب والعقيق يملأ كفه فضلاً عن أصابعه، والواعظ ينهى عن فحش القول بالقول الفاحش، والذين يدعون إلى الحرص

على الوقت يضيعون الأوقات سدىً، والله سبحانه يقول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف : ٢، ٣].

وأصحاب النبي ﷺ كانوا ينقلون منه العلم بالاقتداء ثم تراهم يعلمون ذلك بالقدوة إلى الجيل الذي يليهم حتي أن الامام مالكًا رحمة الله تعالى إمام أهل المدينة يأخذ بعمل أهل المدينة ويقدمه على حديث الآحاد لأنه نقل بالتواتر العملي. والله نسأل أن يعين العلماء والأمراء على أن يكونوا قدوة لنا في العلم والعمل.

* * *

التربية بالإرشاد والتوجيه:

كان النبي ﷺ دائم الرعاية لأصحابه يرشدهم إذا أخطئوا ويبين لهم إذا جهلوا وتظهر في ثنايا ذلك الحكمة البالغة والأثر الواضح، ومن أمثلة ذلك:

عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله[1] فقال: «**أما في بيتك شيء**»؟ . قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء، قال: «**ائتني بهما**»، فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: «**من يشتري هذين**»؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال «**من يزيد على درهم**»، (مرتين أو ثلاثا) قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال: «**اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدومًا**[1] **فأتني به**»، فأتاه به فشد فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده ثم قال له: «**اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يومًا**»، فذهب الرجل يحتطب ويبيع

---

(١) أي يطلب منه مالاً أو طعامًا.

فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبًا وببعضها طعامًا، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع ولذي غرم مفظع أو لذي دم موجع**» رواه أبو داود.

(وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن فتىً شابًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه فزجروه فقالوا: مه! مه! فقال: «**ادنه**»[2]، فدنا منه قريبًا، قال: «**اجلس**»، فجلس، قال: «**أتحبه لأمك**»؟ قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتم**»، قال: «**أفتحبه لابنتك**»؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**»، قال: «**أتحبه لأختك**»؟ قال: لا والله جعلني الله فداك، قال «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**»، قال: «**أتحبه لعمتك**»؟ قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**»، قال: «**أفتحبه لخالتك**»؟ قال: لا

(١) الآله المعروفة من الحديد.

(٢) اقترب.

والله جعلني الله فداك، قال : «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**»، قال: فوضع يده عليه وقال: «**اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه**»، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء).

وفي ثنايا هذه الدروس تبدو الأساليب التربوية الجليلة الكثيرة منها:

أسلوب ضرب المثل:

قد يكون هذا المثل منطوقاً لتقريب الفهم، فيقرب النبي ﷺ الخسارة الدينية بضرب المثل بالخسارة الدنيوية كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر**[1] **أهله وماله**». رواه البخاري.

وقد يكون المثل لتقريب أمر غيبي كمشاهد القيامة والجنة والنار.

وذلك كحديث البخاري عن جرير بن عبد الله: (كنا

---

(١) وتر بضم الواو = فقد أو خسر.

عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، ثم قال: ﴿ **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا** ﴾ [طه: ١٣٠] ، فقرب رؤية أهل الجنة لربهم سبحانه وتعالى برؤية القمر ليلة البدر حيث يرونه دون تزاحم فلا يحجب أحد الرؤية عن أحد تدبر فالتشبيه للرؤية لا للمرئي.

ومن الأحاديث التي ضرب النبي ﷺ فيها أمثلة متعددة ما رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يحدث (أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال: «**إني أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**»، فقال رجل: يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر؟ فسكت النبي ﷺ ، قلنا: يوحى إليه وسكت الناس

كأن على رءوسهم الطير، ثم إنه مسح عن وجهه الرحضاء[١] فقال: «أين السائل آنفًا»؟ فقال: «**إنه لا يأتي الخير بالشر إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً[٢] أو يلم[٣] إلا آكلة الخضراء[٤] أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس فثلطت[٥] وبالت ورتعت، وإن هذا المال خضرة حلوة فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل**» أو كما قال النبي ﷺ «**وإنه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيداً يوم القيامة**».

والحديث فيه من الدرر النفيسة ما يطول بيانه لكني أكتفى بنقل وجوه التشبيه فيه من «فتح الباري».

أولها: تشبيه المال ونموه بالنبات وظهوره. **ثانيها**:

(١) الرحضاء بضم الراء وفتح الحاء أي العرق من الشدة.

(٢) حبطًا بفتح الحاء والباء: تخمة.

(٣) يلم: يقارب.

(٤) آكلة الخضراء: المقتصدة في الأكل. والمعنى أن الربيع ينبت البقول التي تستكثر منها الدابة حتى تموت من التخمة أو تشرف على الموت إلا المقتصدة في الأكل.

(٥) ثلطت: ألقلت بعرها رقيقًا (بخلاف المبطونة المتخومة).

تشبيه المنهمك في الاكتساب والأسباب بالبهائم المنهمكة في الأعشاب. **وثالثها**: تشبيه الاستكثار منه والادخار له بالشره في الأكل والامتلاء منه. **ورابعها**: تشبيه موت الجامع للمال المانع من إنفاقه بموت البهيمة الغافلة عن دفع ما يضرها فتأكل حتى تهلك. **وخامسها**: تشبيه المال بالصاحب الذي لا يؤمن أن ينقلب عدواً فإن المال من شأنه أن يكتنز وذلك يقتضي منعه من مستحقيه فيكون سبباً للعقوبة. **وسادسها**: تشبيه آخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع.

ومنها حديث البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**».

ومنها حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، وما يبقي ذلك من الدرن»**؟ رواه أحمد ومسلم.

ومنها حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: **«مثل القائم فد حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة: فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا»** (رواه البخاري).

ومنها حديث البخاري عن النعمان بن البشير قال: قال رسول الله ﷺ: **«ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»**.

أسلوب القصة :

ومن الأساليب التربوية أيضا أسلوب القصة، كان النبي ﷺ يقصها أو تنزل قرآنًا، يتلى على الناس ويكون من وراء تلك القصة أهداف سامية تتحقق بها، ومن أمثلة ذلك قصة الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار في تعلم أثر التوسل بالعمل الصالح، وقصة الأبرص والأقرع والأعمى لتمثيل الاختيار في دار الدنيا وخسارة من يخلد إليها، وقصص الأنبياء السابقين وغير ذلك من القصص التي لا تقع تحت حصر.

أسلوب السؤال والجواب:

إن صيغة السؤال والجواب كأسلوب تربوي استخدمه النبي صلى الله ﷺ مع أصحابه للإرشاد والتوجيه والتصحيح والتعليم لهو من أجل الأساليب، وعلماء التربية المعاصرون يرونه طريقة جيدة إذا أحسن استخدامها في التعليم وتثبيت العلم.

وصيغة السؤال والجواب كما استخدمها النبي ﷺ يمكن تبويبها في الأقسام التالية:

أولاً: السؤال عن أمر يمكن أن يجيبوا عنه ليختبر ما عندهم من العلم.

وفي ذلك نذكر حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ : «**قال إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم. حدثوني ما هي**»؟ قال: فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «**هي النخلة**» (رواه البخاري).

وحديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**يا أبا المنذر أتدري أي آية في كتاب الله أعظم**»؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**يا أبا المنذر أتدري آية في كتاب الله أعظم**». قال: قلت: ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾ قال: فضرب في صدري وقال: «**ليهنك العلم أبا المنذر**» (رواه مسلم).

ثانيا: السؤال لبيان الأمر الأولى بالاعتبار والاهتمام

مثل حديث نبيط بن شريط قال: إني لرديف أبي في حجة الوداع إذ تكلم النبي ﷺ فقمت على عجز الراحلة ووضعت يدي على عاتق أبي فسمعته يقول: «**أي يوم أحرم**»[1] ؟ قالوا: اليوم. قال: «**فأي بلد أحرم**»؟ قالوا: هذا البلد . قال: «**فأي شهر أحرم**»؟ قالوا: هذا الشهر. قال: «**فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا. هل بلغت**»؟ قالوا: نعم. قال: «**اللهم اشهد، اللهم اشهد**» (رواه أحمد) .

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما تعدون الرقوب**[2] **فيكم**»؟ قال: قلنا: الذي لا يولد له . قال: «**ليس ذاك بالرقوب ولكنه الرجل الذي لم يقدم من**

---

(١) أحرم = أشد حرمة .

(٢) الرقوب = الذي لا يعيش له ولد ولكن النبي يقول الأولى بالحزن هو الذي لم يمت في حياته ولد فيصبر على موته فيكون قائداً له إلى الجنة (راجع لسان العرب ص ١٧٠١).

ولده شيئاً». قال: **«فما تعدون الصرعة[١] فيكم»**؟ قال: قلنا: الذي لا يصرعه الرجال. قال: **«ليس بذلك ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب»** (رواه مسلم).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أتدرون من المفلس»** ؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: **«إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»** (رواه مسلم).

وحديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ما تقولون في الزنى»**؟ قالوا: حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة. فقال ﷺ: لأصحابه **«لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرآة جاره»**. قال: **«ما**

---

(١) الصرعة بضم الصاد المشددة وفتح الراء والعين الذي لا يغلب أحد لشدته وقوته.

تقولون في السرقة»؟ قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام. قال: «**لأن يسرق الرجل عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق جاره**» (رواه أحمد).

ثالثًا: السؤال لتصحيح المفهوم:

كأن يكون الناس قد اعتادوا أمرًا في الجاهلية ثم جاء الاسلام فنزع ذلك والنبي ﷺ يوضح ما يطابق الفهم الاسلامي.

من ذلك حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: مر رجل على النبي ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا»؟ فقال: رجل من أشراف المسلمين، هذا والله حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع، فسكت رسول الله ﷺ: ثم مر رجل آخر، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما رأيك في هذا**» ؟ فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول ﷺ: «**هذا خير من ملء الأرض مثل هذا**» (رواه البخاري).

رابعًا: السؤال عما لا يعرفونه.

وإنما يسأل النبي ﷺ حتى ينبه أصحابه إلى طلب معرفة ذلك، وهذا النوع من السؤال هو الذي يقولون في جوابه: (الله ورسوله أعلم) من ذلك حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء[١] كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: **«هل تدرون ماذا قال ربكم»؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **«قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب»** (رواه مسلم).

خامسًا: السؤال بصيغة «ألا أدلكم» لينبه السامع إلى ما يأتي من فوائد جليلة.

من ذلك حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«ألا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا**

(١) بعد نزول المطر.

يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم»؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: «تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين» (متفق عليه).

وحديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم»؟ قالوا: بلى قال: «ذكر الله تعالى» (رواه الترمذي).

وقد يصاحب إجابة النبي ﷺ عن السؤال ما يفيد مزيد الانتباه والاهتمام:

من ذلك حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أحدثكم بأكبر الكبائر»؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: «الاشراك بالله وعقوق الوالدين». قال: وجلس وكان متكئًا قال: «وشهادة الزور أو قول الزور». قال فما زال يقولها حتى قلنا: ليته سكت (متفق عليه).

الاستفادة من بعض المواقف تربوياً:

قد يحدث حدث كوني أو يمر النبي ﷺ بشيء أو يشاهده فيعلم أصحابه في هذا الموقف ما يثبت الاعتقاد أو يصحح المفهوم أو يزيد الأمر إيضاحًا، ومن أمثلة ذلك:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ سبي[١] فإذا امرأة في السبى قد تحلب ثديها بسقي[٢] إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال النبي ﷺ: **«أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار»؟** قلنا: لا، وهي تقدر أن لا تطرحه. فقال: **«لله أرحم بعباده من هذه بولدها»** (رواه البخاري).

وحديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلاً من بعض العالية والناس كنفيه[٣] فمر بجدي أسك[٤]

(١) النساء الأسيرات في الحرب

(٢) تحلب ثديها بسقى (بتشديد اللام، وكسر السين)= سال منها اللبن.

(٣) على جانبيه

(٤) نوع قصير الأذنين هذيل قليل اللحم يزهد فيه الناس.

ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: «**أيكم يحب أن هذا له بدرهم**»؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به ؟ قال: «**أتحبون أنه لكم بدرهم**»؟ قالوا: والله لو كان حيًا كان عيبًا فيه لأنه أسك فيكف وهو ميت؟ قال: «**فوَالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**» (رواه مسلم).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء من واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم**». قالوا: والله إن كانت لكافية. قال: «**إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها**» (متفق عليه).

وعن المغيرة بن شعبة: انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم ابن النبي ﷺ، فقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي**» (متفق عليه).

وإنما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لتصحيح مفاهيم الناس وتوضيح الحق ونفي الغلو .

ومن المواقف التي حرص النبي ﷺ على أن يتعلم منها أصحابه دروسًا جليلة ما كان بشأن غنائم حنين وتقسيمها وهذا حديثها (لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم ومع النبي ﷺ عشرة آلاف والطلقاء فأدبروا عنه حتى بقي وحده فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما التفت يمنة فقال: «**يا معشر الأنصار**». فقالوا : لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك، ثم التفت عن يساره فقال: «**يا معشر الأنصار**». فقالوا: لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك. وهو على بغلة بيضاء فنزل فقال: «**أنا عبد الله ورسوله**» فانهزم المشركون، فأصاب يومئذ غنائم كثيرة فقسم للمهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار شيئًا. فقالت الأنصار: إذا كانت شديدة فنحن ندعى، ويعطي الغنيمة غيرنا فبلغه ذلك فجمعهم. فقال: «**ما حديث بلغني عنكم**»؟ فقال فقهاء الأنصار: أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا

شيئًا . وأما أناس منا حديثة أسنانهم، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال رسول الله ﷺ : «**يا معشر الأنصار: ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ ومتفرقين فجمعكم الله بي**»؟ وهم يقولون: الله ورسوله أمن. فقال: «**ألا تجيبون**»؟ فقالوا: الله ورسوله أمن. فقال: «**أما والله لو شئتم أن تقولوا : أتيتنا مكذبًا فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فواسيناك**». فقالوا: الله ورسوله أمن. فقال ﷺ : «**فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم، أما ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم، فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به**».

فقالوا: يا رسول الله قد رضينا، فقال النبي ﷺ : «**فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ولو سلك الناس شِعبًا** (بكسر الشين) **وسلكت الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار**» وأبناء أبناء

الأنصار فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظًا. فقال رسول الله ﷺ: **«ستجدون أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله - ﷺ - تلقوني على الحوض»**[١].

دوام التذكرة :

من أهم مميزات الأسلوب التربوي للنبي ﷺ دوام التذكرة في كل المواقف ومع كل الناس، فإن كان في سفر أو حضر راكبًا أو ماشيًا مع صبي أو رجل فهو دائم التذكرة والتعليم ومن أمثلة ذلك:

حديث معاذ رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: يا معاذ، **«أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله»**؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: **«حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا»**. قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: **«لا تبشرهم فيتكلوا»** (متفق عليه).

---

(١) الحديث مجموع من روايات البخاري ومن سيرة ابن هشام.

وحديث ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: **«يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»** رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال: **«ما هذا يا صاحب الطعام»**؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله قال: **«أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس منا»** (رواه مسلم).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي يروي خروج النبي ﷺ وأبي بكر وعمر من بيوتهم وقد أخرجهم ما أصابهم من شدة الجوع فذهب بهما رسول الله ﷺ إلى

بيت رجل من الأنصار فلما رآهم الأنصاري رحب بهم وذبح لهم شاة أكلوا منها حتى شبعوا ثم قال لهم النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم»** (رواه مسلم).

وحديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده. وإنا حضرنا معه مرة طعاماً، فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها. ثم جاء أعرابي كأنما يدفع فأخذ بيده فقال رسول الله ﷺ: **«إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله تعالى عليه وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها فجاء بالأعرابي ليستحل به فأخذت بيده والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يديهما»** (رواه مسلم).

التشويق وإثارة الاهتمام :

ومن مميزات تربية النبي ﷺ وتعليمه التشويق للعلم وإثارة الاهتمام به ومن أمثلة ذلك :

حديث أبي سعيد بن المعلي قال : قال لي رسول الله ﷺ : «**لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد**». ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل : لأعلمتك سورة هي أعظم سورة في القرآن ؟ قال : ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾. هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» (رواه البخاري).

ومنه حديث أنس رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله، متى قيام الساعة؟ فقام النبي ﷺ إلى الصلاة فلما قضى صلاته قال : «**أين السائل عن قيام الساعة**»؟ فقال الرجل : أنا يا رسول الله، فقال : «**ما أعددت لها**»؟ قال : يا رسول الله ما أعددت لها كبير صلاة ولا صوم إلا أني أحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ : «**المرء مع من أحب وأنت مع من أحببت**». قال أنس : فما

رأيت فرح المسلمون بعد الإسلام فرحهم بها (رواه الترمذي).

بل ويتكرر السؤال نفسه فتتكرر طريقة الإجابة عنه بأن يترك النبي ﷺ السائل ثم يسأل: **«من السائل عن الساعة»** حتى يلفت أنظار الناس لأن السؤال عظيم القدر جليل الشأن تختلف الإجابة عنه. وذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه. بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم إذ جاء أعرابي فقال: متى الساعة، فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال. وقال بعض القوم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال: **«أين أراه السائل عن الساعة»**؟ قال: ها أنا يا رسول الله. قال: **«فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»** قال: كيف إضاعتها ؟ قال: **« إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة »** (رواه البخاري).

بل إن النبي ﷺ سئل عن الساعة مرات وتعددت إجابته عنها بحسب حال السامع وما يلزم من العلم.

تهيئة السامع لتلقي العلم :

ومن الأساليب التي ربى النبي ﷺ بها أصحابه الكرام أنه كان يهيئ أذهانهم للسماع والعلم حتى أنه أحياناً يجعلهم هم الذين يطلبون العلم. وفي ذلك نذكر من بين الأمثلة الكثيرة:

حديث حنظلة بن الربيع قال: لقيني أبو بكر رضي الله فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثير فقال: أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وهو حتي دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ : **«وماذاك»**؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأى العين. فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ : **«والذي نفسي**

بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ساعة وساعة». (رواه مسلم).

فأصحاب النبي ﷺ يرون ما يحذر منه النبي ﷺ ماثلاً أمام أعينهم وكذلك ما يعدهم به، لحديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: (ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل ...) رواه مسلم.

وقد تدعوهم بلاغة الموعظة إلى طلب الوصية كما روى العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون. فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: **«أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ...»** رواه أبو داود والترمذي.

التلقي للعمل والتنفيذ:

ولم يكن رسول الله ﷺ يعلم أصحابه طلبًا لسعة

الثقافة بل إنه يعلمهم العلم ليقوموا عليه بالعمل والتنفيذ، وتلك ولا شك آفة الكثير من المجتمعات اليوم حيث تراهم يتعلمون العلم ولا يعملون به، فالطالب في مدرسته يتلقى في دروسه أن بالفم سائل اللعاب الذي يعمل على هضم المواد النشوية وتبسيطها ويتعلم من ذلك قيمة المضغ الجيد، ثم تراه يذاكر هذا الدرس بل ويجيب عن السؤال الذي يرد عنه في الامتحان ثم تراه لا يعمل به في مضغه لطعامه، ومن أمثلة ذلك ما لا يحصى، بل إن الناس ليمرنون على مخالفة العلم تمريناً حيث ترى المدخنين يعلمون مع كل سيجارة يدخنونها أن «التدخين ضار جداً بالصحة» فيخرجون من تدخينهم بأن يعودوا على مخالفة العلم وسهولة السلوك غير الصحيح.

وأصحاب النبي ﷺ يصفون حالهم في تعلم القرآن فيقولون: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن.

بل إن النساء كذلك من المهاجرات والأنصاريات في

ذلك لهن شأن واضح، فلقد روت عائشة رضي الله عنها قالت: «يرحم الله النساء المهاجرات الأول لما أنزل الله ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١]، شققن أكثف مروطهن فاختمرن بها» رواه البخاري وأبو داود واللفظ له.

وعنها قالت: «إن لنساء قريش لفضلاً، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً لكتاب الله ولا إيمانًا بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل[١] فاعتجرت به تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله من كتابه فأصبحن[٢] وراء رسول الله ﷺ معتجرات كأن على رءوسهن الغربان» (رواه أحمد).

---

(١) القوب الذي لا تلبسه.

(٢) أي في صلاة الصبح.

من مواقف المعالجة والقضاء على الفتن :

لقد كان للحديث عن أسباب الفتن والتفرق في كلام النبي ﷺ تنبيه خاص كحديث أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثاً)؟** قالوا: بلى يا رسول الله قال: **«الإشراك بالله وعقوق الوالدين»** وجلس وكان متكئا فقال: **«ألا وقول الزور وشهادة الزور»** فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. رواه البخاري.

قال الحافظ في الفتح: (وأما قول الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرهما فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه وليس ذلك لعظمه بالنسبة إلى ما ذكر معه من الإشراك قطعاً بل لكون مفسدة الزور متعدية إلى غير الشاهد بخلاف الإشراك فإن مفسدته قاصرة غالباً.

ولقد كان أسلوب النبي ﷺ يتناسب مع المواقف الخاصة حتى يصبح علاجاً وتقويماً وسداً لباب الفتنة أو تثبيتاً للمسلمين الذين حسن إسلامهم، فكان يعامل خاصته من أولي العزائم القوية بما لا يعامل به غيرهم، ومن أمثلة ذلك :

بعد عودة النبي ﷺ من غزوة تبوك وقدومه المسجد دخل المنافقون الذين تخلفوا عن الغزوة –وكانوا بضعة وثمانين رجلاً– وأخذوا يعتذرون ويحلفون والنبي ﷺ يقبل منهم علانيتهم ويستغفر الله لهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى، أما كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وكانوا ممن حسن اسلامهم فلهم موقف آخر:

يقول كعب بن مالك: (فجئت أمشي حتى جلست بين يدي النبي ﷺ فقال: **«ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟»**(١) قلت: بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً ولكن والله قد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه أني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر. والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت، فقال رسول الله ﷺ: **«أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك»**. وثار رجال من بني سلمة

(١) اشتريت الدابة التي ستركبها في سفرك.

فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله بما اعتذر به المخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله لك. فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان قالوا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما قالوا: مرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي. فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدراً فيهما أسوة.

ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا نحن الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف الأسواق فلا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد

السلام أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ، فسلمت عليه فوالله ما رد عليّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال: الله وسورله أعلم؛ ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار، قال: فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلى كتاباً من ملك غسان فإذا فيه (أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك) فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء قد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع فيّ (بتشديد الياء) رجل من أهل الشرك، فتيممت بها التنور فسجرته بها[1]. حتى

(١) (ألقيتها في النار).

إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول لرسول الله ﷺ فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تقربنها وأرسل إلى صاحبيّ مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر؛ فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت خمسين ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت عليّ الأرض بما رحبت إذ سمعت صوت صارخ على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر؛ فخررت ساجداً وعرفت أن جاء الفرج وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر[١].

ومن هذه المواقف ما كان في غزو بني المصطلق عندما تزاحم الناس على الماء فاقتتل جهجاه (وكان أجيراً لعمر

---

(١) اقتطفت هذه الفقرات من الحديث الطويل في الصحيحين والسير (فليراجع).

ابن الخطاب) مع سنان بن يزيد رجل من الأنصار من حلفائهم فقال سنان: يا معشر الأنصار وقال الجهجاه: يا معشر المهاجرين، وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبي(١) فلما سمعها قال: قد ثاورونا في بلادنا والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من عنده من قومه وقال: هذا ما صنعتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها.

فسمعها زيد بن أرقم رضي الله عنه فذهب بها إلى رسول الله ﷺ وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخبره الخبر، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله مر عباد بن بشر فليضرب عنقه. فقال رسول الله ﷺ : **«فكيف إذا تحدث الناس يا عمر أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا ولكن ناد يا عمر**

---

(١) عبد الله بن أبي بضم الهمزة وتشديد الياء هو رأس المنافقين في المدينة.

الرحيل» فلما بلغ عبد الله بن أبي أن ذلك قد بلغ رسول الله ﷺ أتاه فاعتذر إليه وحلف بالله ما قال ما قال عليه زيد بن أرقم، وكان عند قومه بمكان. فقالوا: يا رسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل، وراح رسول الله ﷺ مهجراً في ساعة كان لا يروح فيها، فلقيه أسيد بن الحضير رضي الله عنه فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال: والله لقد رُحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها. فقال رسول الله ﷺ: «**أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبي؟ زعم أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعز منها الأذل!**» قال: فأنت يا رسول الله العزيز وهو الذليل، ثم قال: ارفق به يا رسول الله فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرز لنتوجه فإنه ليرى أن قد سلبته ملكًا، فسار رسول الله ﷺ بالناس حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا وصدر يومه حتى اشتد الضحى ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث فلم يأمن الناس أن وجدوا مس الأرض فناموا ونزلت سورة (المنافقون).

موقف عبد الله[١] من أبيه :

أتى عبد الله رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار.

فقال رسول الله ﷺ: «**بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا**». وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه. فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: «**ترى يا عمر**

---

(١) هو ابن عبد الله بن أبي المنافق وكان الابن هذا صالحاً حسن الإسلام فتأمل حسن معاملة النبي لهذا المنافق وأثر ذلك على ولده وعلى الناس الذين حوله.

أما والله لو قتلته يوم قلت اقتله لأرعدت له آنف[١] لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته». قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري.

وفي قصة المرأة المخزومية[٢] التي سرقت جاء رجال من قريش حديثو عهد بإسلام يشفعون لها عند رسول الله ﷺ فتلطف بهم وقال: تتطهر خير لها فظنوا من تلطفه أن لو كانت الشفاعة من أحد المقربين له لقبل منهم، فطلبوا من أسامة بن زيد أن يشفع، فلما حدث رسول الله ﷺ في شأنها غضب عليه وعنفه بقوله: «**أتشفع يا أسامة في حد من حدود الله**»! ولامه حتى قال أسامة: استغفر لي يا رسول الله.

هذا ومن قصص التربية في المواقف الخاصة ما كان من اعتزال النبي ﷺ لنسائه شهراً لا يدخل عليهن بعد ما اجتمعن حوله يطالبنه بالتوسعة في النفقة ثم نزل قول الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ**

---

(١) بمد الهمزة وضم النون جميع أنف والمقصود بها لغضب له ناس.

(٢) ستأتي القصة إن شاء الله في فصل التربية بالحدود.

تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩].

تدبر جيداً في هذه المواقف وأثرها التربوي فإنه لا يتسع المقام لها شرحاً، ولكن انظر كيف قبل من المنافقين علانيتهم بينما هجر كعب بن مالك وصاحبيه خمسين يوماً وأمر بهجرهم تربية لهم وحملاً لأمثالهم على الثبات.

وانظر كيف عالج فتنة العصبية التي بدأها الجهجاه وسنان وأشعلها رأس المنافقين عبد الله بن أبي (وكان وجيهاً في قومه) فشغل الناس بالرحيل يوماً متصلاً حتى أجهدهم ليكفوا عن حديث الفتنة، ثم يحسن صحبة عبد الله بن أبي حتى يموت بل يعطي ثوبه ليكفن فيه بعد موته، وكذلك تلطفه مع حديثي العهد بالإسلام من قريش في شفاعتهم للمرأة المخزومية التي سرقت بينما اشتد لومه لأسامة بن زيد في نفس الشفاعة للمخزومية.

فما أروع هذه الدروس التربوية! كيف لا، وهي النبوة؟ أي اختيار الله ومؤازرته بالوحي.

كانت الفصول السابقة حديثًا عما دعا إليه علماء التربية وأن للإسلام قصب السبق فيه والآن نسوق ما انفرد به الإسلام دون غيره من وسائل تربوية .

التربية بالحد(١) والتعزير(٢) :

إن وضع العقوبات على المخالفات أمر اتفقت عليه الشرائع السماوية والقوانين الوضعية . بل إن الأعراف والعادات ضمنت أيضًا شيئًا من العقوبات على المخالفات

(١) الحدود عقوبات جعلت لمن ارتكب ما نهى الشرع عنه كحد السارق وهو قطع يمينه في ربع دينار فصاعداً . . (لسان العرب ص ٨٠٠٠) .
والحدود زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر به لما في الطبع من مغالبة الشهوات الملهية عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة فجعل الله تعالى من زواجر الحدود ما يردع به ذا الجهالة حذراً من ألم العقوبة وخيفة من نكال الفضيحة ليكون ما حظر من محارمه ممنوعًا وما أمر به من فروضه متبوعًا فتكون المصلحة أعم والتكليف أتم (الأحكام السلطانية للماوردي) .

(٢) التعزير ضرب دون الحد لمنع الجاني من المعاودة وردعه عن المعصية (لسان العرب ص ٢٩٢٤) .
والتعزير تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود ويختلف حكمه =

كذلك، الا أن الإسلام - دين الله الخاتم - له في هذه الحدود التي سنها ميزات هامة، فإذا كانت هذه العقوبات زواجر تزجر من تسول له نفسه أن يقع في معصية ... فالإسلام إذ يدعو المسلم أن يعتقد في البعث والحساب وعرض الأعمال والوزن، فإن المسلم يعلم أنه إن أفلت من عقوبة الدنيا فلن يفلت من عقوبة الله تعالى في الآخرة، فإذا عوقب على معصيته بالحد الذي شرعه الله رفع ذلك عنه استحقاقه للعقوبة في الآخرة .. لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ في مجلس فقال: **«بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا»**، وقرأ هذه الآية كلها **«فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب**

= باختلاف حاله وحال فاعله فيوافق الحدود من وجه وهو أنه تأديب واستصلاح وزجر يختلف بحسب اختلاف الذنب ويخالف الحدود في ثلاثة أوجه أحدها أن تأديب ذي الهيبة من أهل الصيانة أخف من تأديب أهل البذاءة والسفاهة لقول النبي ﷺ فيما رواه أبو داود: أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم الثاني: أن الحد لا يجوز فيه العفو ولا الشفاعة ويجوز ذلك في التعزير فهو واجب الضمان، الثالث: أن التلف الذي يحدث من الحد هدر أما ما يحدث في التعزير فهو واجب الضمان. (الأحكام السلطانية للماوردي) .

من ذلك شيئًا فستر الله عليه إن شاء غفر له وإن شاء عذبه» (رواه البخاري) .

ومن أقيم عليه الحد في عقوبة لا يجوز أن يُعير (بالبناء للمجهول) بها بعد ذلك بل تحسن معاملته وندعو له بالمغفرة وحسن السيرة .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه : عبد الله وكان يلقب : حماراً، وكان يُضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب فأتي به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم : اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ : **«لا تلعنوه فو الله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»**[1] . (رواه البخاري) .

---

(١) في هذا الحديث فوائد تحتاج إلى بيان : منها أن التكنية هنا ذكرت (بلقب حماراً) للتعريف لكثرة من كان يسمى عبد الله . ولعله لقب بذلك في الجاهلية قبل الإسلام ثم سمي بعد الإسلام عبد الله كما غير النبي ﷺ غيره من الأسماء . ومنها (كان يُضحك رسول الله ﷺ) حيث كان يهدي النبي ﷺ السمن والعسل فإذا جاء صاحبها يطلب =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي النبي ﷺ بسكران فأمر بضربه فمنا من يضرب بيده ومنا من يضربه بنعله ومنا من يضرب بثوبه، فلما انصرف قال رجل: ما له أخزاه الله، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم**» (رواه البخاري) وفي رواية لأبي داود: «**ولكن قولوا: اللهم اغفر له اللهم ارحمه**».

فالحدود الشرعية تطهير من الذنوب وإصلاح للمجتمع وحماية للفضيلة وقضاء على الرذيلة.

عن بريدة رضي الله عنه يروى خبر ماعز بن مالك لما جاء إلى النبي ﷺ معترفًا بالزنى قال: فأمر به فرجم فكان الناس

= ثمنها ذهب به إلى رسول الله فقال له: أعط هذا ثمن متاعه، فما يزيد رسول الله ﷺ أن يتبسم ويعطيه الثمن. وفيه عدم جواز تعيين المطلق في الوعيد من اللعن والتكفير وغيره. فمع أن حديث أنس عند الترمذي قال: «**لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له**» إلا أن النبي ﷺ نهى عن لعن هذا الرجل (يراجع في ذلك مقال تكفير المعين من مجلة التوحيد عدد شوال سنة ١٤٠٣ لابن تيمية).

فيه فرقتين: قائل يقول لقد هلك، لقد أحاطت به خطيئته. وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز إنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده ثم قال: اقتلني بالحجارة. قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال: «**استغفروا لماعز بن مالك**». قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم .....**».

وساق أيضًا خبر الغامدية التي جاءت تعترف بالزنى حتى قال: وأمر الناس فرجموها فيقبل خالد بن الوليد بحجر فيرمي رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها فقال: «**مهلاً يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس**(١)

---

(١) صاحب مكس (بفتح الميم وسكون الكاف) هو من يأخذ الأموال بغير حقها ويصرفها في غير وجهها وهذا من أقبح المعاصي وذلك لكثرة مطالبات الناس له وظلاماتهم عنده وتكرر ذلك منه. وفيه حديث أبي داود (لا يدخل الجنة صاحب مكس).

لغفر له» (رواه مسلم)[١] .

والحدود الشرعية من عند الله فيتساوى فيها الشريف والوضيع، فلقد سرقت امرأة من بني مخزوم، فذهب رجال من قريش يشفعون لها فقال لهم رسول الله ﷺ : «**تتطهر خير لها**» . وكان هينًا في رده عليهم لينًا في قوله إليهم حتى ظنوا أن لو كان الشافع غيرهم ممن يحبهم النبي ﷺ لقبل منه . فتروي عائشة رضي الله عنها أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فأتى بها رسول الله ﷺ فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلون وجه رسول الله ﷺ ، وقال «**أتشفع في حد من حدود الله**»؟ فقال أسامة : استغفر لي يا رسول الله. فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: «**أما بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي**

---

(١) حديثا بريدة عن مسلم طويلان، وقد اقتطفت ذلك منهما فليراجعا.

بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» .

ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها . قالت عائشة : فحسنت توبتها بعد وتزوجت وكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ . (رواه البخاري ومسلم واللفظ له) . وجاء أنها كانت تقول ليدها : تبًّا لك كنت ستأخذينني إلى النار .

هذا والحدود الشرعية حماية لأعراض الشرفاء من أهل العبث . فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جاءه أربعة شهداء على المغيرة بن شعبة يرمونه بالزنى بامرأة، فلما اختلفت شهادتهم جلد عمر ثلاثة منهم كل واحد ثمانين جلدة وترك الرابع لأنه لم يشاركهم في الشهادة .

ولقد رُوي أن رجلين استبا في زمن عمر فقال أحدهما للآخر (ما أبي بزان ولا أمي بزانية) فاستشار عمر الصحابة في قضيتهما فقال بعضهم : مدح أباه وأمه، وقال الآخرون أما كان لأبيه وأمه مدح غير هذا؟ فجلده عمر ثمانين جلدة .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ولا يجوز أن يؤخذ من الزاني أو السارق أو الشارب أو قاطع الطريق ونحوهم مال تعطل به الحدود لا لبيت المال ولا لغيره، وهذا المال المأخوذ لتعطيل الحد سحت خبيث، وإذا فعل ولي الأمر ذلك فقد جمع فسادين عظيمين: أحدهما: تعطيل الحد، والثاني: أكل السحت، فترك الواجب وفعل المحرم.

قال تعالى: ﴿**لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ [المائدة: ٦٣]. وقال تعالى عن اليهود ﴿**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ**﴾ [المائدة: ٤٢] لأنهم كانوا يأكلون السحت من الرشوة التي تسمى البرطيل[١] وتسمى أحيانًا الهدية وغيرها. ومتى أكل السحتَ وليُّ الأمر احتاج أن يسمع الكذب في شهادة الزور وغيرها وقد لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي والرائش -الواسطة- الذي بينهما (رواه أصحاب السنن).

وفي الصحيحين (أن رجلين اختصما إلى النبي ﷺ

---

(١) البرطيل هو الحجر المستطيل سميت به الرشوة لأنها تلقم المرتشي فيسكت عن التكلم بالحق كما يلقمه الحجر الطويل.

فقال أحدهما: يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله. فقال صاحبه - وكان أفقه منه- : نعم يا رسول الله! اقض بيننا بكتاب الله، وائذن لي فقال: «**قل**» . فقال: إن ابني كان عسيفًا في أهل هذا -يعني أجيرًا- فزنى بامرأته، فافتديت منه بمائة شاة وخادم وإني سألت رجالا من أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم. فقال: «**والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله: المائة شاة والخادم رد عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغد يا أنيس على امرأة هذا فاسألها فإن اعترفت فارجمها**» . فسألها فاعترفت فرجمها) .

ففي هذا الحديث أنه لما بذل عن المذنب هذا المال لدفع الحد عنه أمر النبي ﷺ بدفع المال إلى صاحبه وأمر بإقامة الحد، ولم يأخذ المال للمسلمين، وقد أجمع المسلمون على أن تعطيل الحد بمال يؤخذ أو غيره لا يجوز، وأجمعوا على أن المال المأخوذ من الزاني والسارق والشارب والمحارب وقاطع الطريق ونحو ذلك لتعطيل الحد مال سحت خبيث، وكثير مما يوجد من فساد أمور

الناس إنما هو لتعطيل الحد بمال أو جاه . (انتهى كلام ابن تيمية من السياسة الشرعية) .

فهذه حدود الإسلام أقامها الله حماية للوجود الإنساني، فهي تربية وتقويم يخافها مَن في طبعه ميل يغالبه نحو المعصية، وهي كذلك تفتح باب الجنة لمن وقع فيها إن صدقت توبته بعدها، والله سبحانه قد أقامها على حرمات النفس والمجتمع:

فحد الردة حماية لحرمة الدين، وحد القتل والقصاص حماية لحرمة النفس، وحد الخمر حماية لحرمة العقل، وحد الزنى والقذف حماية لحرمة الأعراض، وحد السرقة حماية لحرمة المال، وحد الحرابة لمن تسول لهم أنفسهم أن يشكلوا العصابات التي تنتهك سائر حرمات المجتمع وهي أشدها وأقساها وهي المذكورة في قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)** ﴾ .

[المائدة : ٣٣]

التربية بالاعتقاد

العقيدة قائد السلوك :

إن السلوك في حياة الإنسان يقاد بالاعتقاد سلباً وإيجاباً في كافة مناحي الحياة، فإن المريض يتحمل مرارة الدواء لاعتقاده أنه سبب الشفاء، والمسلم العابد يقوم الليل والناس نيام ويتصدق بالمال في محاب الله رغم حاجته إليه لاعتقاده في وعد الله الصادق بالجنة ونعيمها.

بل إن السلوك الفاسد يقوده اعتقاد فاسد، فإن الذين يتجهون للأحجار والأشجار يتمسحون بها أو للقبور يدعون عندها وينذرون لها يقودهم اعتقاد فاسد بأن هؤلاء الموتى وسائط عند الله يرفعون الحاجات إلى الله أو أن الله وكلهم بقضاء الحوائج! (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً).

وكثير من الأعمال التي تفعل عند الموت أو الولادة أو الزواج يقودها اعتقاد صحيح أو فاسد. فليس ببعيد عنا

تلقين الموتى في قبورهم بعد الدفن وحرق جثث الموتى في الهند، وما كان قدماء المصريين يفعلونه حيث يبنون الأهرامات ويضعون معهم الكنوز وغير ذلك من المسالك المختلفة إنما هي أثر اعتقاد فاسد غير صحيح.

الدور التربوي لأركان الاعتقاد:

أركان الاعتقاد الموضحة في كثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ هي الأركان الستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. وهي من شروط قبول الأعمال كما قال ابن عمر (والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر)[1].

(١) هذه العبارة من صحيح مسلم في مقدمة حديث سؤال جبريل الذي جاء فيه هذه الأركان الستة للاعتقاد والتي ينبغي أن يعرفها المسلمون صغيرهم وكبيرهم. وهذه العبارة تدل على أن من لا يؤمن بركن واحد من أركان الاعتقاد الستة هذه فإن عمله حابط مردود عليه. ولقد سألت تلامذة في مدارس مختلفة عن أركان الايمان فكانت الإجابة (أنها خمسة وذكروا أركان الإسلام). هذا مع أن جبريل عليه السلام لما سأل النبي ﷺ عن الإسلام أجاب «**أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول** =

والإيمان بالله يعني الإيمان بأنه هو الخالق البارئ المصور المعطي المانع النافع الضار المحيي المميت وهو على كل شيء قدير، والإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا التي وصف بها نفسه أو جاءت على لسان نبيه ﷺ دون تأويل أو تحريف أو تعطيل، ثم امتثال مقتضى هذا الإيمان في التعبد بالقلب حبًا وخوفًا ورجاء، والتعبد باللسان ذكرًا ودعاء وحلفًا واستعانة، والتعبد بالجوارح ركوعًا وسجودًا، وطوافًا وصومًا، والتعبد بالمال صدقة ونذرًا وذبحًا.

ومن آثار ذلك الشعور بنعم الله على العبد وخضوع القلب له وتعظيمه.

= **الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»** فلما سأل عن الإيمان قال: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»** ولذا فإني أهيب بالآباء والأمهات والمعلمين وجميع الناس أن يعلموا أبناءهم وتلامذتهم ومن يحبونهم ما هي أركان الإيمان وأركان الإسلام. بل لا ينبغي لعاقل أن ينام في بيته حتى يطمئن على من هو عنهم مسئول أنهم يعرفون أركان الإيمان الستة التي هي جوهر الاعتقاد.

فإذا أيقن العبد تفرد ربه تبارك وتعالى بالخلق والحكم، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، وأن الخلق مقهورون تحت قبضته، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء، وأنه لا موفق إلا من وفقه وأعانه، ولا مخذول إلا من خذله وأهانه وتخلى عنه، وأن صحة القلب وسلامته من الأمراض في عبادته لله وحده فيكون الله أحب إليه من كل ما سواه فيقدم محبته في قلبه على كل المحاب وتصبح سائر المحاب تبعاً لها، ويتقدم الخوف من الله في قلبه جميع المخوفات فتنساق المخاوف كلها تبعاً لخوف الله، ويتقدم رجاؤه في قلبه جميع الرجاء فينساق كل رجاء تبعاً لرجائه.

والقدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثا للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات والانكفاف عن - دقائق المكروهات وعن التبسط في فضول المباحات كان ذلك فضلاً محموداً. فإن زاد على ذلك بأن أورث مرضاً أو هماً يقطع صاحبه عن السعي المباح ليكف نفسه وعياله عن سؤال الناس لم يكن ذلك محموداً بل مذموماً وإنما

يأتي ذلك من سوء فهمه لصفات الله عز وجل.

هذا وخوف العقاب ليس مقصوداً لذاته إنما هو سوط يساق به المتواني عن طاعة الله. ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه. ولهذا المعنى عدها الله سبحانه من جملة آلائه على الثقلين في سورة الرحمن ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾ [الرحمن: ٤٣ - ٤٥].

وإذا أيقن العبد أن الله هو التواب الغفار العفو آمن بمتعلقها من غفران الجناية وقبول التوبة والعفو عن الجرائم فكان ذلك يجذبه نحو الاستغفار والتوبة والإقلاع عن الذنوب خاصة عندما يعلم أن الله يفرح لتوبة عبده المؤمن وأنه يحب التوابين ويحب المتطهرين.

والإيمان بالملائكة كما جاء في القرآن والسنة وأن الله سبحانه خلقهم كما أراد من نور وجعل لهم قوة عظيمة، وجبلهم على طاعة أمره وحده، وأنهم موكلون بالأرحام وحفظ النطف، والأجنة بها، وموكلون بالمطر من السماء،

والنبات من الأرض، وموكلون بحفظ العبد من بين يديه ومن خلفه، وموكلون بكتابة أعماله حسناته وسيئاته، وموكلون بمجالس الذكر والعلم، وموكلون بالمساجد يوم الجمعة يكتبون الداخل الأول فالأول حتى يصعد الإمام المنبر، وموكلون بقبض الأرواح ورفع الأعمال، وأنهم يقاتلون مع المؤمنين، وغير ذلك مما وكل الله عز وجل ملائكته به.

فالله سبحانه بما عرفنا من أمر هذه المخلوقات المؤمنة وأفعالها قد جنبنا الوقوع في الخرافات والأوهام التي وقع فيها من لا يؤمنون بالغيب ولا يتلقون معارفهم عن الوحي الإلهي، كما يستقيم على أمر الله عز وجل فمن استشعر قلبه وجود ملائكة الرحمن يراقبون أعماله وأقواله والله من ورائهم محيط ومطلع فإنه يستحيي أن يعصي الله وهو يراه وملائكته يحيطون به، ومن استشعر ذلك صبر على مواصلة الجهاد في سبيل الله دون يأس بل يشعر بالأنس والطمأنينة لأنه يعلم أن ملائكة الرحمن يقاتلون معه.

والإيمان بالملائكة يجعل العبد إذا أحس أن الركب قد

ضل الطريق وأن الجاهلية قد سادت وصار المؤمن غريباً في وطنه وبين أهله وقومه حيث يجد منهم الصدود والاستهزاء والتخذيل والتثبيط عن طاعة الله تعالى والاستقامة على أمره.. فإن المؤمن يجد في الملائكة أنيساً ورفيقاً يصحبه ويرافقه ويواسيه ويصبره ويطمئنه ويعينه على مواصلة السير على درب الهدى. فهذه جند الله تعبد الله كما تعبد أنت وتتجه إلى الخالق كما تتجه أنت، تؤمن معك في صلاتك خلف الإمام وتتجاوب معك في الدعاء إذا دعوت بظهر الغيب لأخيك المجاهد أو المريض أو المكروب أو المدين أو غيره .. قالت الملائكة: آمين ولك مثله، وإذا خرجت من بيتك فقلت: بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قالت الملائكة: هديت وكفيت ووقيت.

أما الإيمان بالكتب فيعني التصديق إجمالاً بما أنزل الله على أنبيائه من كتب ثم الإيمان بما سماه الله تعالى في القرآن من صحف إبراهيم وموسى، والتوراة التي نزلت على موسى، والزبور الذي نزل على داود، والإنجيل الذي نزل

على عيسى، ثم ختمت الكتب بالقرآن الكريم، نؤمن بأنها منزلة من عند الله وأن يد التحريف عملت في الكتب السابقة على القرآن فأنزل الله تعالى القرآن ناسخاً لها جميعاً يحوي الخير كله محفوظاً من التحريف والتبديل وختم الله به الكتب ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت: ٤٢].

ذلك الإيمان يدفع المؤمن للعناية بالقرآن لأنه خطاب الله له فيحل حلاله ويحرم حرامه. كما يجعله لا يكذب بكل ما ينسب إلى الكتب السابقة ولا يصدقها لأن يد التحريف عملت فيها ويستغنى عنها بالقرآن لأنه جاء ناسخاً لها.

وأما الإيمان بالرسل فيعني التصديق الإجمالي بما أرسل تعالى من الأنبياء والمرسلين وأن عددهم كبير وأنهم أرسلوا في كل أمة من الأمم ﴿ **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ [فاطر: ٢٤] ونؤمن تفصيلا بمن ذكرهم القرآن وهم الخمسة والعشرون[١].

---

(١) في تلك حجتنا منهم ثمانية ... من بعد عشر ويبقى سبعة همو
إدريس هود شعيب صالح وكذا ... ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا.

ذلك الإيمان يجعل المؤمن يشعر بالعمق الاعتقادي الذي يبينه حديث النبي ﷺ : **«مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتًا فأحسنه وأجمله فجعل الناس يطيفون به يقولون: ما رأينا بيتًا أحسن من هذا إلا هذه اللبنة فكنت أنا تلك اللبنة»**. (رواه مسلم).

كما أن هذا الإيمان زاد للدعاة في طريقهم إلى الله يثبتهم في دعوتهم ويبصرهم في سيرهم ويرسم لهم أسلوب الدعوة ويهون عليهم تكذيب المكذبين، لقد كذب الأنبياء من قبل. ويبشرهم أن الله ناصر من ينصره، وينصر رسله وينصر دينه، وأن الله الذي أيد الأنبياء بالآيات الباهرة سوف يؤيد بالنصر والتمكين من اتبعه ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ** ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١].

وأما الإيمان باليوم الآخر بالبعث بعد الموت ثم الحشر في يوم المعاد والفصل والحساب والعرض على الله والوزن والقصاص والصراط والجنة والنار. وهذا يحث المؤمن على التفتيش في عمله لأنه سيلقاه عند ربه ثم يحاسب عليه

ويجازى به في يوم قال الله عنه: ﴿ لا ظلم اليوم ﴾.

فذكر القيامة وما فيها من أهوال وما يتلوها من النار والإيمان بذلك يبعد المؤمن سريعًا عن المعاصي ويلزمه الطاعات والإيمان بالجنة ونعيم أهلها يحدو الأرواح نحو الطاعة ويجعل الصعب فيها سهلاً ميسوراً.

أما الإيمان بالقدر فذلك يعني الإقرار بأن الله كتب كل شيء عنده قبل أن يخلق الخلق وأنه قدر كل شيء تقديراً وأنه أخفى هذه المقادير على الخلق وأمرهم بالخيرات والحسنات ونهاهم عن السيئات، فيجتهدون وكل ميسر لما خلق له، فلا إجبار لهم ولكنه ييسر لهم الأمر، ثم بعد ذلك يعلم المسلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن كل شيء عنده بمقدار..

وذلك يبعث على الرضا بالقضاء والقدر مع الجد والاجتهاد في الحرص على كل ما ينفع العبد في دنياه وأخراه.

هذا وأن للرضا بالقضاء نتائج سارة وثماراً طيبة منها أن يكسب العبد قوة العزيمة والإقدام، فمن اطمأنت نفسه إلى أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه فإن جميع أعماله تخلو من الحيرة والتردد، ويذهب من حياته القلق والاضطراب، لأنه يقدم إذا ترجح لديه الإقدام من غير خوف ولا هيبة ولا تردد، كما أنه لا يحزن على ماض فاته ولا يغتم لحاضر وقع به ولا يؤرقه مستقبل يجهله، وبذلك يكون من أسعد الناس حالاً وأطيبهم نفساً وأصلحهم بالاً وأهدأهم خاطراً فيكون أشجع الناس عقلاً وقلباً وأكرمهم قولاً وأزكاهم نفساً إذ يعلم أن أجله محدود ورزقه معدود فلا الجبن يزيد في عمره ولا الشح يوسع في رزقه فينافس في البطولات ويسابق في المكرمات.

بعد الحديث عن أثر الاعتقاد في السلوك حديثاً عاماً كما أسلفنا لعله من المناسب الآن أن نتحدث حديثاً على جانب من التفصيل يصور بعض الجوانب الاعتقادية التي صاغت سلوك المسلمين من الرعيل الأول، ولقد اخترت

الحديث عن الجنة والنار، وأما الحديث عن الجنة فقد اخترت فيه فصلاً مما كتبه ابن قيم الجوزية في كتابه (حادي الأرواح) قال فيه:

الجنة دار غرسها الله بيده، وجعلها مقراً لأحبائه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وان سألت عن ملاطها[١] فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر، وإن سألت عن لبناتها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل، وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل، وإن سألت عن أنهارها

(١) الملاط: هو ما يستخدم تلصق به أحجار البناء وتطلى به الجدران.

فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى، وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير، وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام، وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً من تلك الخيام، وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار. وإن

سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار، وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات وهي الحجال[١] مزررة بأزرار الذهب فما لها من فروج ولا خلال، وإن سألت عن أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر، وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صور آدم عليه السلام أبي البشر، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين، وأعلى منهما خطاب رب العالمين، وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها فنجائب إن شاء الله مما شاء تسير بهم حيث شاءوا من الجنان، وإن سألت عن حليهم وشاراتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرءوس ملابس التيجان، وإن سألت عن غلمانهم فولدان مُخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون، وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب اللاتي جرى

(١) الحجال بيت يزين بالستائر.

في أعضائهن ماء الشباب فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته النهود وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حبها فقل ما تشاء في تقبل النيرين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبين، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه في صحن خدها كما يرى في المرآة التي جلاها صقيلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها، لو طلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً، ولا استنطقت أفواه الخلائق تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولاغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن من على ظهرها بالله الحي القيوم، ونصيفها[١] على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها لا تزداد على طول الأحقاب إلا

---

(١) نصيفها – خمارها وهو ما يلبس على رأس المرأة.

حسناً وجمالاً، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالاً، مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها، ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يمل طيب وصالها، قد قصرت طرفها على زوجها فلا تطمح لأحد سواه، وقصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته هو وإن نظر إليها سرته، وإن أمرها بطاعته أطاعته، وإن غاب عنها حفظته فهو معها في غاية الأماني والأمان هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان كلما نظر إليها ملأت قلبه سروراً، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤاً منظوماً ومنثوراً، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نوراً. وإن سألت عن السن فأتراب في أعدل سن الشباب، وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر؟! وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن حور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان، وإن سألت عن النهود فهن الكواعب نهودهن كألطف الرمان وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان. وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات

الحسان، اللاتي جمع لهن بين الحسن والاحسان، فأعطين جمال الباطن والظاهر، فهن أفراح النفوس وقرة النواظر، وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العُرُب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أي امتزاج فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها، وإذا انتقلت من قصر، قلت: هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة.

وحديثها السحر الحلال لو أنه
لم يجن قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يملل وإن هي حدثت
ود المحدث أنها لم توجز

وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع، وإن قبلت فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل، وإن نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك

التنويل، هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيادة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه، كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه، وذلك، موجود في الصحاح والسنن والمسانيد من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد، فاستمع يوم ينادي المنادي: يا أهل الجنة، إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم[١] فحي على زيارته، فيقولون: سمعًا وطاعة وينهضون إلى الزيارة مبادرين فإذا بالنجائب[٢] قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً، وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحداً؛ أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، وجلس أدناهم وحاشا أن يكون فيهم دنيء على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب

(١) يطلبكم لزيارته.

(٢) النجيب = الفاضل من الحيوان.

الكراسي فوقهم في العطايا حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم، نادى المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه؛ فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار، فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رءوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد فاسألوني فيجتمعون على كلمة واحدة أرنا وجهك ننظر إليه فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله

قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى أنه ليقول: يا فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ يذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يارب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى بمغفرتي بلغت هذه المنزلة. فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة. ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾**﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٥] (انتهى من حادي الأرواح) فنسأل الله أن يجعلنا من أهلها وأن يجنبنا الخطأ والزلل ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

وبعد هذا الحديث عن الجنة وما فيها من نعيم مقيم نعقب عليه بحديث عن دار العذاب الأليم ليظهر الفارق ويتضح الأمر الذي يهوّن على السالكين ظمأ الصوم وقسوة السفر وبذل المال وقيام الليل فهذا حديث عن النار حاولنا له جمعاً واستفدنا من كتاب «التذكرة» للقرطبي،

« والتخويف من النار » لابن رجب الحنبلي، و « يقظة أولى الاعتبار » لصديق حسن خان.

النار دار العذاب الأليم والهوان المستديم أعدها الله سبحانه وجعلها قرارًا للكافرين والمعاندين والمجرمين المتجبرين وانتقامًا من الطغاة والمشركين، وجعل العذاب فيها أصنافًا وألوانًا وذكرها في كتابه وتحدث عنها نبيه ﷺ حتي ينزجر العصاة ويستقيم الطائعون، والله سماها بأسماء كثيرة منها: جهنم والحطمة ولظى وسعير وسقر والهاوية والجحيم. ومما قال فيها:

﴿ كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [المعارج: ١٥، ١٦] ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المدثر: ٢٧ - ٢٩] ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾ ﴾ [القارعة: ١٠، ١١] ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾ ﴾ [الهمزة: ٦ - ٩] ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [البقرة: ٢٤].

ومن أحوال أصحابها وأوصافهم: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٧] ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر: ٦٠] . حتى أنهم قد ورموا فيها، وانتفخوا فصار ما بين أنفه وشحمة أذنه مسيرة سبعين خريفاً تجري بها أودية القيح والدم والصديد.

وأما عن أبوابها فالنار لها سبعة أبواب، لكل باب منهم جزء مقسوم وهي مغلقة الأبواب حتى إذا جاءها أصحابها فتحت أبوابها فإذا دخلوها جميعاً أغلقت عليهم فهي عليهم مؤصدة، أغلقت حتى صار الجدار جزءاً واحداً لا يرجى فتحة ولا يتميز لها أبواب من جدار.

أما عن أصواتها فإن لها تغيظًا وزفيراً ولها شهيقاً وهي تفور تكاد تميز من الغيظ، إذا سمعها الأنبياء والمرسلون جثوا على الركب يقول كل منهم: نفسي نفسي. مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾.

[النحل: ١١١]

أما عن هوائها ومائها فإن ريحها ريح السموم وماءها ماء الحميم وظلها هو اليحموم لا بارد ولا كريم.

وعن شرارها فإنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر لونه أسود كالقار، والله سبحانه يقول: ﴿**يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ**﴾. [الرحمن: ٣٥]

بها واد يسمى: ويلاً يهوي فيه الكافر سبعين خريفاً لا يبلغ له مقراً، ومن أوديتها غي، وآثام، وموبق، وسعير.

أغلالها في أعناقهم وأصحابها في السلاسل يسحبون ثم في النار يسجرون، وإن السلسلة من سلاسلها طولها سبعون ذراعاً لو أن غلاً منها وضع على جبل لأذابه وهدمه ودكه دكاً.

أما المطارق التي يضربون بها فلهم مقامع لا يستطيع الثقلان أن يحملوها.

وأما عن طبقاتها ودركاتها فإن الحجر يهوي فيها سبعين خريفاً لا يدرك لها قعراً.

وإن سألت عن سعتها فإن الصراط الذي يضرب على ظهرها يسع الخلائق جميعاً. فكيف بها إذاً سعة وعمقاً،

ومع ذلك فأصحابها محشورون فيها يتأذى بعضهم من جوار البعض ومن ريحه ونتنه.

فإذا سألت عن لونها فلقد أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم ألف عام حتى احمرت ثم ألف عام حتى اسودت فهي سوداء حالكة كالليل المظلم.

وأما عن حرارتها فإن النبي ﷺ يقول: «**ناركم هذه التي يوقدها بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم**».

وأما عن البرد فيها فإنه الزمهرير الذي إذا خرجوا إليه تتحطم من شدته العظام ويسمع صوتها فيسألون الرجوع إلى الجحيم من هول ما يلقون.

وأما عن ندائها فهي تقول: اشتد حري وبعد قعري وعظم جمري عليّ إلهي: إليّ بأهلي.

أما عن سكانها فإنهم كل جبار عنيد وكل شيطان مريد وكل من يخافه في الدنيا لشره العبيد.

الملائكة يوثقونه بالحديد ثم يؤمر به إلى جهنم التي لا تبيد ثم يوصدها عليهم ملائكة رب العبيد، فلا تستقر

أقدامهم على قرار أبداً ولا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبداً، لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً.

يلبسون النضيج من النحاس وقد منعوا خروج الأنفاس، فالأنفاس في أجوافهم تتردد، والنيران على أبدانهم تتوقد، قد أطبقت عليهم الأبواب وزادهم عذاباً أن حل بهم غضب رب الأرباب.

ويزيد في عذابهم أنهم أنفسهم لا يتراحمون فيها بل للّعائن يتبادلون ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ

فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[الأعراف: ٣٧ – ٤١]

وكذلك هم فيها لا يرحمون ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾. [الأعراف: ٥٠]

وينادون مالكاً خازن النار فلا يجابون إلى ما يريد ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾. [الزخرف: ٧٤ – ٧٨]

حتى إنهم لا يجدون عند رب العالمين الرحمن الرحيم إلا العذاب الأليم والرد الذي يخرسهم أجمعين ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾

رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ . [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٨]

وإن سألت عن أطوارها ومراحلها فإنه ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [النساء: ٥٦] وأما عن فرشهم فإن ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ .

[الأعراف: ٤١]

وأما عن ثيابهم فإن سرابيلهم من قطران وقد قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود .

وأما عن طعامهم فطعامهم من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وطعامهم ذو غصة وعذاب أليم .

وأما عن شرابهم فإنه الغسلين لا يأكله إلا الخاطئون وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا يسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ .

وربهم أعلم فالعذاب ألوان والخزي والعار والذل والصغار فبئس القرار قد استحقوا العذاب واستوجبوه وحلت عليهم اللعنة وسوء الدار، بل الله أعلم فلو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. اللهم إنا نسألك النجاة منها ومن أهوالها ومن مشابهة أهلها (آمين).

الدور التربوي للعبادات :

لقد شرع الله سبحانه العبادة تربية للعباد ومصلحة لهم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾. [البقرة: ٢١]

ونتناول بالحديث الفرائض التعبدية (الصلاة والزكاة والصوم والحج) في حديث سريع نكتفي فيه بالإشارة والتلميح بدلا من العبارة والتصريح.

أولاً: الصلاة : لقد هيأت الحكمة الإلهية والتشريع الرباني الصلاة تهيئة دقيقة هي من معجزات التشريع تحقيقاً لغاية العبودية والإخلاص والخضوع والتذلل لله تعالى وإحياء وتجديداً للصلة به سبحانه وانقطاعاً عما سواه وتخلصاً من سلطان كل من نازعه في إلاهيته أو ربوبيته أو

عظمته أو حكمه، لتنشئ في النفس قوة روحية وإيماناً عميقاً ونوراً يفيض به القلب ليقاوم به أقوى الفتن والمغريات وأقصى الحوادث والكوارث ويتغلب على شرور النفس ومواضع الضعف فيها وسقطاتها.

فالمسلمون في كافة بقاع الأرض تتوحد قبلتهم، وفي مسجدهم تسوى صفوفهم ينادى عليهم فيتطهرون وخلف إمام واحد إلى الله يتوجهون إعلاناً لوحدة المسلمين ونبذاً للفرقة والخلاف، فالمسلم في الهند والصين أخ للمسلم في مصر وأفريقية، والمسلم الغني أخ للمسلم الفقير تتلاصق الأقدام وتتزاحم المناكب يسرعون إلى الصف الأول ثم الذي يليه ثم الذي يليه وحدة في القبلة ووحدة في الصف ووحدة في الوجهة إلى الله ووحدة في الصلوات تؤدي إلى وحدة القلوب والأفكار والخواطر والهمم.

يفتتحون الصلاة بالتكبير نفياً لدعاوى الأدعياء ومزاعم المتألهين وأوهام وخرافات الوثنيين ومظاهر وسخافات الملوك والسلاطين، كلمة يخشع أمامها الجبابرة وتهوى لها الأصنام ويذل لها الطغاة فهي أبلغ ما يفتتح بها الصلاة

حثاً للمصلي ألا يلتفت لغير الله لأنه بين يدي الرب الكبير وكل ما سواه مربوب ضعيف صغير.

يقوم المصلي في خضوع وخشوع يفتتح الصلاة بالقيام ناظراً في محل سجوده ثم ينتقل إلى الركوع قائلاً: سبحان ربي العظيم ثم السجود قائلاً: سبحان ربي الأعلى، وقد وضع أشرف أعضائه على موطئ الأقدام فتتفق روعة الهيئة بوضع الجبهة على الأرض مع روعة البيان (سبحان ربي الأعلى) فيكون في حالته هذه أقرب إلى ربه لحديث «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء**» رواه مسلم. فيسأل ربه مبتهلاً وهو منه قريب: أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، ودعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسمه ورغم لك أنفه.

يفتتح القراءة بالفاتحة ويختم الصلاة بالتشهد وبينهما من ترسيخ منهج حياته الأمر الفريد العجيب، فهو يعلن منهجه في الحياة ويعاهد الله عليه (إياك نعبد وإياك نستعين) ويسبقه بالتعرف على ربه (رب العالمين) الذي

ربّى فاستحق الحمد لعظيم تربيته وجميل عنايته واتصف بكونه (الرحمن الرحيم)، وهو الذي لا يفلت الإنسان في المبدأ حيث خلقه ولم يكن شيئاً ولا في النهاية فهو (مالك يوم الدين) ولكنه في عهده مع الله في العبادة والاستعانة يسأل الله الهداية إلى الصراط المستقيم متبرئاً من حال أهل الغضب والضلال، ويختم الصلاة بالتشهد الذي يعلن المعاني المعلن عنها في الفاتحة في أسلوب جديد (أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) حيث يحمل منهج التعبد لله وحده سالكاً الطريق السوي الذي بيّنه رسوله الكريم ﷺ لكنه يبدأ قبل ذلك بالتحيات لربه معلناً إفراده بالصلوات الطيبات ويتصل بالذين أنعم الله عليهم من السابقين واللاحقين (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) ترابط جميل عجيب ودعاء متبادل، وذلك يظهر بين الأذان نداءً وشعاراً والفاتحة ابتداء والتشهد ختاماً، ذلك كله يأخذ بالعبد الذي يدب على الأرض بقدميه ليكون عبداً لله رب الأرض والسماء

والعالمين جميعاً. تواضعا في عزة، ضراعة في رفعة، ابتهالاً إلى القوي العزيز، ترابطاً مع العابدين المعاصرين والسابقين واللاحقين.

هذه الصلاة هي التي قال الله في حقها ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** (٤٥) ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ذلك بأنها تصرف صاحبها عن الأخلاق الرذيلة والمتع الرخيصة وتنقله من سفاسف الأمور إلى معاليها وتحبب إليه الإيمان وتزينه في قلبه وتكره إليه الكفر والفسوق والعصيان.

ومن الجدير بالملاحظة أن الصلاة يلزم لها الإعلان فلا يكون هذا الإعلان إلا بلاغاً موجزاً ودعوة مركزة وشرحاً للإسلام، لا يستعين فيه بآلة كالبوق أو الناقوس ولكن بالتكبير والشهادتين وبيان أن الصلاة طريق الفلاح في الدنيا والآخرة.

كذلك التطهر للصلاة.. الثوب والمكان وكذلك البدن بالوضوء والغسل فيكون تطهير الظاهر مقدمة لتطهير الباطن فلا يستحق أن يطهر الله باطنه إلا من طهر ظاهره.

وتكرار هذه الصلاة وتعاقبها في ساعات اليوم والليلة حكمة بالغة لتغذية النفوس ووقايتها من الغفلة عن الله ودواء من استحواذ المادية على القلب والروح حيث يخرج من الصلاة على انتظار أن يعود لصلاة أخرى وينام بعد الصلاة ليستيقظ لأخرى فيصدق عليهم قوله سبحانه ﴿ **رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ . [النور: ٣٧]

فهذه الصلاة صلة لا نظير لها بين العبد وربه الخالق تبعث المراقبة في القلوب وتروض الأعضاء فتعتاد اليدان إذا وضعت على الصدر في خضوع وتروض العين التي التزمت مكان السجود، ويروض اللسان الذي رتل القرآن ترتيلاً وتروض النفس التي أخذت في التدبر في الركوع والسجود والذكر والقراءة، فإذا صحت العلاقة مع الله أطاع العبد ربه في شأن الخلق ومدارها «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» فكيف بجماعة تراصت صفوفها ولجأت قلوبها إلى ربها يغسل أدرانها ويزيل من القلوب أحقادها فإذا استغاثوا به أغاثهم وإذا استنصروه نصرهم وإذا سألوه أعطاهم وإذا استعاذوه أعاذهم وإذا استغفروه غفر لهم.

الزكـــــاة

إن الناس يكدحون لكسب المال ويعملون على تحصيل الأقوات ولكن تتفاوت حظوظهم في ذلك فمنهم من وسع الله عليه وبسط له في عيشه ومنهم الفقير المحتاج والمسكين المعدم، وإن النفس قد جبلت على حب المال والمتاع ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝** ﴾ [العاديات: ٦ - ٨] فإذا تركت النفس لذلك ملكها شحها وطغى عليها حتى أصبح العالم كله مصنعاً كبيراً يتحرك فيه بنو آدم كآلات صماء لا قلوب لهم ولا ضمائر، ولا متعة لهم ولا لذة.

لذلك عرف الله الإنسان بموقفه من المال وذلك أنه مؤتمن عليه ومستخلف فيه. يخلف من سبقه ويخلفه من بعده ﴿ **وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ** ﴾ [النور: ٣٣] ﴿ **وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ** ﴾. [الحديد: ٧]

ثم دعاه إلى الإنفاق دعوة كريمة إعلاء لنفسه وتزكية لروحه وصلة بخالقه الذي رزقه المال والذي يرجى منه

البركة والنماء والحفظ لهذه الأموال فيقول سبحانه ويقول ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] ويقول: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾. [التغابن: ١٧] ويقول: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾. [المزمل: ٢٠]

ويقول سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] فالزكاة تطهير للأنفس وتزكية لها وتطييب للمال الذي أنعم الله به على العبد وهي تجلب البركة في الأموال في الدنيا وتدفع عنهم لفح جهنم في الآخرة، فعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقي من أموالكم**» رواه أبو داود، والله سبحانه يذكر ثمرة الإنفاق في سبيله ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] وكذلك يحذر سبحانه من البخل لأنه مهلكة ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)﴾. [البقرة: ١٩٥]

هذا ولقد اقتضت حكمة الله تعالى ولطفه بعباده أن

يشرع للزكاة نظاماً بيّن الحدود واضح المعالم معين النصاب معلوم المقادير والأعداد يكون وسطاً بين الكثير والقليل لا يستهين به الأسخياء ولا يقصر عنه المتقصدون، فلم يكل ذلك إلى رأي ولا همة أو طموح أو انفعال أو وجدان وعاطفة فتأخذ في القوة والضعف أو الزيادة والنقص، وجعل هذه الزكاة طريقاً لمواساة المحتاجين فجعل منها قسطاً للفقراء والمساكين وحفظاً للدين على أهله، فجعل منها قسطاً للمؤلفة قلوبهم وقسطاً لفك الرقاب المسترقة ولم يترك ابن السبيل عرضة للفتن في غربته فجعل له في الزكاة حقاً وجعل للثغور حقاً سماه ﴿ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦٠] ولم يمنع حق القائمين عليها حتى لا يدخل الشيطان عليهم بإهمال أو خيانة ولم يترك أهل الغرم حتى جعلهم أصحاب حق في الزكاة إبقاء على النخوة والإقدام للصلح بين طوائف المسلمين إذا دب بينهم خلاف وغرم بعض أهل الخير والصلاح في ذلك الصلح.

هذا ولم يجعل الله الزكاة في كل المال ولكن إذا بلغ

المال نصاباً وإنما النصاب عادة يكفي الأسرة الصغيرة حولاً كاملاً ويكاد ذلك يصدق على الماشية والزرع والنقدين.

والزكاة تصلح النفس فتكسبها سخاوة وجوداً وتمرن المسلم على العطاء والبذل وتكسب المجتمع إخاء وترابطاً وتجعل الفقير يحرص على نفع الغني فلا يحسده وتغرس في القلب مراقبة الله وتبعد وساوس الشيطان التي تصرف الضعاف عن الخير فيستهويهم أهل الكفر أو الفسق فجعل الله سبحانه الزكاة في مصارفها حماية للفقير من فقره وللغريب من غربته وقريب العهد بالجاهلية وحماية لثغور المسلمين من الأعداء ورفعاً للعبودية عن المستبعدين، فكل ذلك تزكو به النفوس وتتهذب الأرواح من أجل ذلك شرع الله الزكاة للمسلمين فكانت بركة عليهم وتربية لنفوسهم وترويضاً لقلوبهم فلا تتعلق بالأموال تعلق العبادة بل المال في أيديهم لا تطغيهم كثرته ولا تنسيهم قلته ولا يستهويهم جمعه، عالمين أن التعاسة ترافق عبادة المال والتعلق به لحديث البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعس عبد**

الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش» .

فالزكاة ليست غرامة بل عبادة لله تعالى كسائر العبادات لا بد فيها من النية وقصد الثواب ولا بد فيها من الإحسان حتى ينال الثواب فلا يعطيها تعالياً على الفقير ولا تكبراً ولكن يعطيها وهو يدعو له قبل أن يدعو له الفقير. فلا يتهرب منها العبد كما يتهرب الممولون من الضرائب لأن الزكاة تعطى لله المنعم الرقيب.

والزكاة التي تقضي على الشح وتعلم السخاء ترفع النفس من البهيمية إلى الإنسانية وتعود الإنسان على العفو عند المقدرة والصبر على الشدائد وتهون الدنيا وآلامها.

والزكاة التي فرضها الله سبحانه على الناس تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: **«إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة ألا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك**

فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» .

والزكاة يمن وبركة وصلة ورحمة وعبادة خالصة وتهذيب وتربية ونجاة من النار ومرضاة للملك الجبار.

وانظر إلى جميل الدعوة للترابط والمواساة بين أفراد المجتمع المسلم بالمال والنفس، فقد جاء في الحديث القدسي أن الله عز وجل يقول يوم القيامة: **(ابن آدم مرضت فلم تعدني)** فيقول: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول: **(أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما إنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني)**، فيقول: يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول: **(أما علمت أن عبدي فلاناً استطعمك فلم تطعمه أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني)** فيقول: كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ فيقول: **(استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي)** .

الصوم

خلق الله الإنسان من روح وجسد ولكل غذاؤه ونماؤه وصحته وسقمه وطغيان أحدهما إضرار بالآخر، فإذا ضعف سلطان الروح ملك الجسد زمام الحكم وطغى واسترسل الإنسان في لذاته وشهواته ورتع فيها رتع البهائم السائمة وانصرفت همته وذكاؤه وإبداعه إلى الإسراف والإيثار من أنواع الطعام والشراب فيصبح همه شهيته يبحث عن الطعام وما يعين على الهضم ويفكر فيما يلزم الوجبة الثانية قبل أن ينتهي من الأولى فتكون حركته دوراناً بين المطعم والمرحاض ومائدة الطعام والبالوعة، عسير عليه أن يجيب إذا سئل هل تعيش لتأكل أم تأكل لتعيش؟ والله سبحانه يقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ١٢] فينجذب إلى طين الأرض ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ

مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾. [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]

من أجل ذلك أرسل الله الرسل رفعاً للبشر ومن أجل ذلك أمرهم بالعبادات يقومون بها ويعلمونها للناس ومنها الصوم أمرهم به ترويضاً وتهذيباً ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣] حيث يحد من طغيان الجسد وضعف الروح.

فالصوم حبس النفس عن الشهوات وفطامها عن المألوفات وهو تعديل للشهوات استعداداً لطلب سعادتها في حياتها الأبدية، يكسر بالجوع شهوته فيتذكر الفقراء والمساكين إشفاقاً عليهم ويضيق مجاري الشياطين.

والصوم حفظ للجوارح من المواد الفاسدة وحفظ للقلب من سيطرة الشهوات وعون على التقوى، وقد شرع الله سبحانه الصوم بقدر المصلحة نافعاً للعبد في دنياه وأخراه.

والصوم ليس انتقاماً من الصائم فالله يستثني من ذلك التكليف: المريض والمسافر والعاجز عن الصوم ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ

بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾. [البقرة: ١٨٥]

ولما كان فطم النفوس عن مألوفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها تأخر فرض الصوم على المسلمين إلى ما بعد الهجرة ففرض في العام الثاني من الهجرة بعد أن توطدت النفوس على التوحيد وعلى الصلاة وألفت أوامر القرآن فكان الصوم بذلك إصلاحاً وتزكية ومدرسة خلقية يتخرج فيها الإنسان فاضلاً كاملاً، زمامه بيده، يملك نفسه وشهواته، وشهواته لا تملكه فلقد استطاع الإضراب عن المباحات والطيبات فهو بذلك أقوى على ترك المحرمات ومن يترك الماء العذب والطعام الزكي لأمر ربه كيف يقرب السحت والرجس والنجس.

أما إذا تغلبت الطبيعة الحيوانية صارت المعدة القطب الذي تدور من أجله الحياة فلا تجد في عمره وقت صفاء ولا يقظه ولا يتجه إلى عبادة إلا متثاقلاً كسلاناً، كل شغله البحث عن فاتح الشهية ومزيل الحموضة وهاضم الطعام وهو يجلس على مائدة الطعام لم يغادرها يخطط لمائدة

أخرى لا يصرف وقته ولا فكره في حديث له إلا عن الطعام ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾. [النساء: ١٤٢]

من أجل ذلك شرع الله الصوم حفظاً للجوارح الظاهرة، وإنماءً لقوة الإيمان الباطنة فكان كما قال النبي ﷺ: «الصوم جُنة» ويقول: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».**

ولقد جعل الله سبحانه فرض الصوم شهراً كاملاً تتصل أيامه ولم يشرع الوصال فيه لغير النبي ﷺ وهو بذلك أنفع للعبد حيث يغير من عاداته نحو الشهوات فيصبح فيها متحكماً فلا تملكه فتورده المهالك فيصبح الصوم مربياً ومهذباً للجوارح وللروح.

ولما كان الصوم مدرسة وتربية جعله الله سبحانه في شهر رمضان اختياراً جميلاً يبينه سبحانه بقوله: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. فكان

الوحي حظ الأرواح وغذاءها وقد نزل في رمضان فناسب ذلك أن يكون التخفف من حظ الأجساد حتى تزكو الأرواح وتتربى الأنفس وترتفع إلى ربها وبارئها.

وصوم شهر رمضان شهراً واحداً يصوم فيه المسلمون جميعاً يختمه الله لهم بعيد يفرحون فيه جيعاً، وفي ذلك ربط وثيق بين قلوب المسلمين ووحدة وإخاء ومحبة وتعاون تتقوى به وتقوى روابطه وتتوثق عراه بين المسلمين بصومهم جميعاً لشهر رمضان.

وترك المسلم لطعامه وشرابه لا دفعًا لمرض ولا طلبًا لصحة ولكن قربة وطاعة لله عز وجل يجعل المسلم يشعر بأنسه بالله سبحانه حيث يترك حظ النفس المباح طاعة وإرضاء لله ورجاء الثواب منه وحده.

وفي الحديث القدسي: (**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يترك طعامه وشرابه من أجلي**) ويدل على ذلك القرب أن آيات الصيام جاء في سياقها آية الدعاء الدالة على أثر الصوم وترك الشهوات طواعية لله سبحانه فهذه مناسبتها: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ**

إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦] فمن المنح في شهر الصوم ووقت الصوم إجابة الدعاء لحديث: «**ثلاث لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم...**».

هذا والصائم الذي ترك الحلال فتربى بصومه أقرب إلى اجتناب المحرمات حتى يحفظ عمله من البطلان ونفسه من النار فيقول سبحانه بعد آيات الصوم ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴿١٨٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

فالبصوم تصح الأبدان ويتجدد الإيمان ويتعلم المسلم المراقبة لربه والاحسان ويترابط المسلمون بالحب والتعاون وترك العدوان على أموال غيرهم.

هذا وإن الصورة لتكتمل جمالاً وروعة بعد رمضان فيكون صوم ستة من شوال ثم عرفة ومن بعده عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر وفي كل ذلك مغفرة للذنوب وغسل للصحائف وتنقية للعبد وصفاءً وتقوى فيرى المسلم ويأمل بذلك نقاء صفحته حتى تصير كالثوب

الأبيض فيخاف من الوقوع في المعصية أو الإهمال في الطاعة، كالذي يلبس الثوب الناصع البياض يحذر من دنس الطريق أن يصيبه. فتراه يفتش بعد ذلك في سائر عمله خوفًا من الوقوع في الذنب يلوث صفحته البيضاء وفي ذلك ترشد الأحاديث الشريفة.

«من صام رمضان إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه».

«من قام رمضان إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه».

«من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة قال: **«يكفر السنة الماضية والسنة الباقية»**.

وسئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: **«يكفر السنة الماضية»**.

صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله.

هذا وشهر رمضان في صومه يربط المسلم بآلاء الله وكونه وأرضه وسمائه وبالشمس والقمر والليل والنهار والفجر كلهم عباد لله لا يتخلفون وهو بينهم لله عابد طائع،

فيقول الله سبحانه ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧] ويقول ﷺ: «**إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم**».

فلم يعلق المولى سبحانه شيئاً من الصوم وكذلك الصلاة والحج بحسابات يجيدها قوم ويخطئها آخرون ولكن بالقمر والشمس والليل والنهار والفجر فهم ينظرون إلى السماء كأنهم يقولون: ربنا هل فتحت علينا عيداً، فيشعر العبد بذلك أنه واحد من هذه الآيات الكبيرة يعبد معهم رباً واحداً قوياً يرعاه ويمده بقوته ويرشده وفي ذلك تربية وتعليم وتهذيب للأفراد والجماعات.

* * *